

شكسبير

حياته ونتاجه وعصره

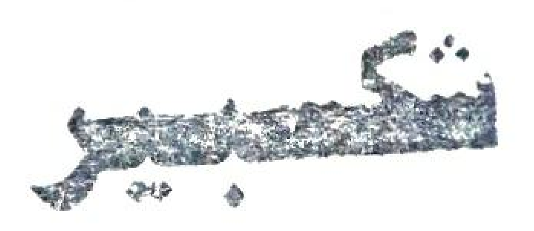
تأليف
ف. أ. هاليدي

ترجمة
سمير عبدالرحيم الجلبي

مراجعة النص العربي
د. مجيد بكتاش



دار المأمون


شكسبير




دار المأمون

ف٠أ٠ هاليدي

شكسبير

حياته ونتاجه وعصره

ترجمــــة

سمير عبدالرحيم الچلبي

ترجم الشواهد الشكسبيرية

جبــرا ابراهيــم جبــرا

مراجعة النص العربي

د٠ مجيــد بكتاش

دار المأمون للترجمة والنشر

بغداد ــ ١٩٩٨

شكسبير : حياته ونتاجه وعصره Shakespeare

ف . أ . هاليدي F. E. Halliday

وزارة الثقافة والاعلام

دار المأمون للترجمة والنشر

ص . ب ٨٠٠١٨ تلكس ٢١٢٩٨٤

جمهورية العراق ـ بغداد

طبع بمطابع دار الحرية

مترجم عن الانكليزية

٩٢٨٫٢
هـ ٢٨٩ هاليدي ، ف . أ .
شكسبير حياته ونتاجه وعصره / تأليف ف. أ. هاليدي ، ترجمة سمير عبدالرحيم الجلبي .. بغداد : دار المأمون للترجمة والنشر ، ١٩٩٨ .
ص : ٢٤ سم
١ ـ شكسبير ، وليم (أديب انكليزي)
أ ـ الجلبي ، سمير عبدالرحيم (مترجم) ،
ب ـ العنوان .
م.و
١٩٩٨/٢٥٤

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٥٤ لسنة ١٩٩٨

كلمة المترجم

ان تبني دار المأمون اصدار الترجمة العربية لهذا الكتاب المفيد عن حياة شكسبير ونتاجه وعصره ومعاصريه يعزز محور الثقافة المسرحية الذي تبنته الدار في أطار برنامج يهدف الى اصدار الكتب في عدة محاور ثقافية . لقد أصدرت الدار ترجمة ست مسرحيات لشكسبير وكتابا بعنوان (شكسبير والانسان المتوحد) ترجمها جميعا الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا ودراسة اخرى بعنوان (صناعة المسرحية) ترجمها الدكتور عبدالله الدباغ . واصدرت الموسوعة المسرحية (بالانكليزية والعربية مع كشاف بالعربية) في جزأين ترجمة سمير عبدالرحيم الجلبي الذي أعد ايضا (معجم المصطلحات المسرحية) بالانكليزية والعربية وقد أصدرته الدار عام ١٩٩٣ والكتاب الذي نضعه بين يدي القارىء هو الكتاب الحادي عشر في هذا المحور .

يقدم ف . ا . هاليدي بتفاصيل مفعمة بالحيوية في كتابه ما نعرفه عن حياة شكسبير بعد ثلاثة قرون من اكتشافه مستعينا برسوم شخوص العصر الاليزابيثي وبصور بعض الطبعات الأول وخرائط وصور فوتغرافية لمدينة ستراتفورد ابون ايفن وقد اخترنا للقارىء العربي (١٢٢) من ١٥١ صورة وخريطة نشرت في الكتاب الاصلي . ان كثيراً من حياة الكاتب المسرحي الشهير يلفه الغموض غير ان هاليدي ، الحجة في الادب الاليزابيثي والجيمزي ولاسيما شكسبير وادبه ، يسوق الادلة ويؤكد ان ويليم شكسبير كان حقاً مؤلف المسرحيات التي ارتبطت باسمه . يقدم المؤلف سيرة واضحة وأخاذة لشكسبير من خلال البحث الرصين والاستعمال الدقيق للوثائق والسجلات المعاصرة والاستنتاجات المستمدة من مسرحياته وقصائده .

لقد حرصت في كتابة اسماء الامكنة والأعـلام على الاستعانة بالمراجع المختلفة لمساعدة القارىء على قراءتها قراءة صحيحة .

اعبر عن الامتنان الشديد للدكتور مجيد بكتاش ، الخبير في دار المأمون، الذي راجع النص العربي وقوم لغته وأبدى ملاحظات ثمينة . كما اقدم الشكر الجزيل الى الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا الذي ترجم الشواهـد الشكسبيرية واشكر لدار المامون تبني اصدار هذا الكتاب .

سمير عبدالرحيم الچلبي

المقدمـــــة

ثمة وهم شائع ، لسوء الحظ ، ان حياة شكسبير لايعرف شيء عنهـا او لا يعرف سوى القليل . والحق يعرف الكثير . وبفضل الجهود الكثيرة التي بذلهـا باحثون انكليز وامريكيون كثيرون ، من مالون وهالويل ـ فيليبس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الى س.و.والاس وليزلي هوستن في الزمن الحاضر ، اكتشف الكثير جدا وما يزال يكتشف المزيد . اننا نعرف حقا اكثر بكثير مما يحق لنـا ان نتوقعه عن كاتب مسرحي عاش معظم حياتـه في بلدة اقليمية مغمورة ومات فيها . من الضروري أن نتذكر أن النتاج المسرحي لم يكن يعد ادبا جادا عندما كان شكسبير حيا، وبعد وفاته بـزت مسـرحيات بومونت وفيلتشر المبهرجة مؤلفات شكسبير واغلقت المســارح طوال عشرين عاما من الحرب الاهلية وحكومة كرومويل . لذا مـر أكثر من نصف قرن على وفاته قبل ان تبذل محاولات البحث الاولى المرتبكة في وقت متأخر جـدا ولم يساعد ذلك على استقاء معلومات مباشرة عن سيرة حياته . غير انه منذ ذلك الحين كشف عن الكثير من السجلات والاشارات الضمنية المعاصرة . وهـذا الكتاب يهدف الى وصف ما نعرفه عن حيـاة شكسبير بعد ثلاثة قرون مـن الاكتشاف وتوضيح القصة بالصور .

ومن سوء الحظ ايضا انه ينبغي الافتراض عموما اننـا لانعرف سوى القليل عن شكسبير . وساعدنا ذلك على دعم المفهوم العاطفي في القرن الثامن عشر ان شكسبير مزارع ملهم ، وهو مفهوم شجع الراي القائل ان رجلا كهذا لا يمكن ان يكون قد الف المسرحيات المنسوبة اليه . لقد برهنت الآنسة ديليا بيكن قبل مئة عـام على نحو ارضاها على ان سميها فرانسز بيكن كان المؤلف الحقيقي وواصل اتباعها عملها حتى تعرضوا هم انفسهم لهجوم آخرين اعلنوا انهم اكتشفوا ((شكسبير الحقيقي)) في شخص أحد النبلاء . والآن يقال لنـا

ان المؤلف الحقيقي هو مارلو . وسرعان ما سيكتشف باحث ما كاتباً مسرحياً اليزابيثيا غامضا يحمل اسم ونتورث سمث وسينضم بلاريب اتباع سمث الى الحملة .

على الرغم من أن هذا الكتاب لم يؤلف لدحض هذا الهراء فلابد ان يفعل شيئا لتبديده . انني ادرك حتى الآن ان محاولة كهذه لم تبذل من قبل وان توضيح مادة واسعة تتعلق بسيرة شكسبير ، فضلا عن الصور والامكنة ، لابد أن يؤكد مرة اخرى ان الرجل الذي الف المسرحيات الست والثلاثين هو وليم شكسبير من ستراتفورد ابون ايفن ، وانها لفرضية معقولة .

ف . أ . هاليدي

طفـــولة شكسبير

عاش في محافظة وركشير عـدة اشخاص حملوا اسم شكسبير منـذ منتصف القرن الثالث عشر في الاقل في الوقت الذي عاش فيه رجل يحمـل اسم ويليم شكسبير في كلوبتن في ضواحي ستراتفورد • غير ان ويليم هذا الذي عاش في القرون الوسطى لم يكن شخصا تفخر به العائـلة لأنه شنق لارتكابه جريمة سطو قبل مائة عام من سميه الشهير • ان (شكسبير) Sakspere تهجية بسيطة للاسم الذي يمكن ان يكتب بعـدة طرائق تبتعد تدريجيا عن التهجية المقبولة عموما وهي Shakespeare وهذه التهجيات هي :

Shakespert, Schakosper, Shexsper, Saxpere,
Sashpierre, Chacsper, Sadspere, Shaxbee,
Shakeschafte, Shakstaff.

فضل الباحثـون في القرن السابع عشر التصور القائل انه كان من أصل عسكري • الا ان هذا التصور مشكوك فيـه لأن عائلة واحـدة من آل شكسبير حصلت على أرض عن طريق الحيازة العسكرية •

يرجح ان جد الشاعر كان ريتشارد شكسبير الذي سكن عام ١٥٢٥ في بدبروك على التلال الواطئة المطلة شرقا على وريك • وبعد بضعة أعوام انتقل الى قرية سنترفيلد على بعد ثلاثة أميال شمالي ستراتفورد حيث كـان يزرع الارض في ضيعة روبرت آردن ، رئيس فرع صغير من عائـلة بارزة

وقديمة في وركشير .ولد ابنا ريتشارد ، جون وهنري ، في سنترفيلد . ويحتمل انهما ولدا في ١٥٣٠ وعمدا في كنيسة الابرشية .

لم يسكن روبرت اردن في قرية سنترفيلد بل في قرية ولمكوت التي تبعد ثلاثة الى أربعة أميال غربا حيث كان يمتلك ضيعة اخرى . وهناك في بيته المشيد من الخشب والآجر وبجانبه مخازن كبيرة وبرج حمام حجري كبير ربى عائلة مكونة من ثماني بنات أصغرهن ميري . على مدى قرابة ثلاثين عاما كان جدا شكسبير جارين لا يفصل بينهما سوى طريق طوله بضعة فراسخ وتربطهما مصلحة مشتركة في الارض ، اذ كان أحدهما مالكها والثاني مستأجرها .

لابد ان جون شكسبير عرف ميري آردن منذ كان صبيا ، وفي نحو عام ١٥٥٠ انتقل الى ستراتفورد تاركا أباه وشقيقه ليواصلا زراعة الارض في سنترفيلد على بعد ساعة واحدة مشيا على الاقدام من بيتها . ولا - ان ابن الفلاح المتواضع شعر ان من الضروري تحسين وضعه اذا كان يو- الاقتران بابنة سيد ريفي مهما كان متواضعا فراح يعمل في صنع القفافيز ازدهر عمله ، ثم تزوج ميري بعد مدة قصيرة من وفاة روبرت آردن عام ١٥٥٦ . ويحتمل ان عقد الزواج كان في كنيسة استن كانتلو التابعة للابرشية التي تقع فيها ولمكوت . كان زواجا مناسبا للشاب الطموح ، اذ فضلا عن اسم ميري ومركزها الاجتماعي كانت تمتلك عقارين في ولمكوت وزهاء مئة وخمسين ايكرا وحصة في استرجاع ملكية ضيعة سنترفيلد .

غير ان جون كان يمتلك عقارا ايضا .كان عمله مزدهرا، وقبل زواجه بقليل استثمرمبلغا في دارين في ستراتفورد أحدهما في صف البيوت الممتد على الجانب الشمالي من شارع هنلي في أعلى المدينة . وكان هذا البيت يقع شرقي البيت الذي ولد فيه شكسبير الذي يرجح ان مستأجرا كان يسكنه . سكن جون في شارع هنلي بعض الوقت لأنه غرم مع صديقه ادريان كويني

ويعتقد ان جون نقل عروسه الى ذلك البيت ونقل عمله الى البيت المجاور هناك عام ١٥٥٣ لسبب وجيه هو انهما رميا كومة روث في ذلك الشارع العام • الذي اشتراه حديثا •

ولدت طفلتهما الاولى في ايلول ١٥٥٨ • ولا يعرف أي شيء آخر عنها• ويحتمل انها توفيت وهي طفلة رضيعة كشقيقتها التي دفنت وعمرها خمسه اشهر في نيسان ١٥٦٣ • ولعلهما كانتا من ضحايا الطاعون ، الوباء المخيف الذي فتك بانكلترا عام ١٥٦٣ • ولا غرو في أن الامل صاحبه الخوف في قلبي جون وميري شكسبير عندما أزف موعد مولد الطفل الثالث • غير ان الطاعون اختفى بظهور صقيع الشتاء • وحين ظهرت براعم اشجار الاجاص والتفاح في نيسان ١٥٦٤ ولد لهما ابن ، وربما كانت ولادته في ٢٣ نيسان • اطلق عليه اسم ويليم ؛ وفي ٢٦ نيسان عمد (غليلموس فيليوس يوهانس) شكسبير في كنيسة ابرشية الثالوث المقدس •

كانت الملكة اليزابيث اذذاك في الثلاثين واعتلت عرش انكلترا وهي في السابعة والعشرين ، وكانت انكلترا جزيرة متخلفة مفلسة على حافة حضارة عصر النهضة الجديدة الا ان الملكة استطاعت بفضل شجاعتها غير العادية وقدرتها ان تضع البلاد في أول الطريق الى الشهرة • وحلت معظم شعبها بتبنيها شكلا معتدلا من البروتستاتنية عدت الدين الرسمي وان بقي بعض الكاثوليك الساخطين وبقي من الناحية الاخرى متطهرون اعتقدوا ان حركة الاصلاح لم تذهب بعيدا على نحو كاف • كان ينصحها في خطواتها كلها أمين سرها ويليم سسيل أو اللورد بيرغلي الذي خدمها باخلاص لا يتزعزع الى نحو نهاية عهدها •

لم تستطع الملكة اليزابيث ان تفعل شيئا واحدا على نحو مباشر في الاقل وهو دعوة الكتاب الى اثراء ادب انكلترا الذي كان جدبا مؤسفا منذ

وفاة تشوسر قبل مئة وخمسين عاما من ذلك التاريخ • كان هناك موسيقيون يضاهون الموسيقيين في أقطار اوربا الاخرى ولاسيما توماس تالس وتلميذه ويليم بيرد ولكن أين الشعراء ؟ كان بوسعها أن تفعل الكثير على نحو غير مباشر •

ثمة شيء اخر رفضت الملكة اليزابيث ان تفعله الا وهو الزواج • كانت تعبث وتتظاهر بوجود نوايا في الزواج لاسباب دبلوماسية • وكان الرجل الذي بدا اثيراً عندها هو روبرت وولي الملقب بايرل ليستر الذي منحته قلعة كنلورث • كان هذا لا يتمتع بحب الشعب وقبوله وتحوم حوله الشكوك في انه اغتال زوجته •كان لابد ان تتزوجه لان وريثة العرش كانت ميري الكاثوليكية ، ملكة اسكتلندا ، التي أوشكت ان تتزوج بابن عمها الشرير الشاب لورد دارنلي • شعر سسيل بالقلق الشديد غير ان اليزابيث اصرت على الا تتزوج •

كانت الملكة اليزابيث تقضي اجازتها كل صيف في جولة رسمـ حاشيتها وأحمال وفيرة من الامتعة وتزور بيوت أبرز مواطنيها القريبين العاصمة • وفي آب ١٥٦٦ أمضت بضعة أيام مع ليستر في كنلورث في زيارة لشقيقه ايرلورك في قلعة ورك في طريقها الى الاقامة بشارلكوت بالبيت الذي أعيد تشييده مؤخرا وكان يملكه سير توماس لوسي قرب ستراتفورد • وأغلب الظن انها عندما غادرت في ذلك اليوم من شهر آب رأى شكسبير • وعمره آنذاك سنتان ونصف السنة ، الملكة أول مرة حين مرت تحت البوابة الكبيرة واتجهت جنوبا نحو بانبري واوكسفورد • لم تشاهد الملكة اليزابيث في ستراتفورد سوى الكنيسة في الجانب البعيد من النهر تومض في شمس الصباح •

ستراتفورد

تقع كنيسة الثالوث المقدس عند الطرف الجنوبي من المدينة وكان هيكل الكنيسة والبرج العاليان ينعكسان في مياه نهر ايفن ، اما القمة المستدقة فلم تشيد الا بعد زمن شكسبير . كانت طوال عقدين كنيسة تعليمية يخدم فيها قساوسة يعيشون في الكلية المجاورة ولكن قبل زمن شكسبير بعشرين عاما ألغيت الكلية وشغلت الدار عائلة كومب . ينعطف الطريق من الكنيسة والكلية يسارا حتى يرتبط بالشارع العريض الذي يقطع المدينة من الجنوب الى الشمال . والبيوت مشيدة من الآجر والخشب اذ ان اقرب مقلع حجارة يقع في كوتسولدز على بعد بضعة أميال . وهنا تقع بنايات غلد في الوسط ملاجىءالفقراء وغلدهول مع الصف الطويل في المدرسة المحلية فوقه وكنيسة غلد الرمادية . كان للكنيسة في وقت ما نفوذ واسع في المدينة ولكنها ، شأنها شأن الكلية ، تعرضت للقمع واصبحت الهيمنة في ايدي العمدة وأعضاء المجلس البلدي والمواطنين الذين لهم ممثلون في البرلمان . وعند الزاوية قبالة الكنيسة يقع نيوبليس ، البيت الكبير الذي شيده من الخشب والاجر سير هيوكلوبتن قبل قليل من وفاته ودفنه في الكنيسة عام ١٤٩٢ . كان سير هيو يمتلك ايضا الجسر ذا الاقواس الكثيرة المشيد في العصور الوسطى في الطرف الشمالي وهو الجسر الوحيد الذي يربط المدينة بلندن وبشرقي انكلترا لأن المدينة شيدت كلها على الضفة الغربية من النهر . وعندما كان شكسبير طفلا كانت ستراتفورد مدينة سوق عادية يقطنها زهاء الفي شخص معظمهم يعمل في الزراعة أو الصناعة الصغيرة من مثل صنع القفافيز مهنة أبيه .

ولاشك في ان الشوارع على الرغم من انها قذرة كانت عريضة ولمعظم البيوت حدائق . وكان بوسع الصبي ان يتوجه من شارع هنلي الى غابـة آردن صوب هنلي وورك والكستر وبـدفورد اويعبر الجسر ويصـل ، في غضون ساعة واحدة ، الى سفح كوتسولدز الشديد الانحدار الذي تنتشر فيه اشجار الزان والى القرى المشيدة من حجر الكلس الرمادي وهناك دوما النهر وكان يمتع ناظريه به .

تعليم شكسبير

توفي ريتشارد شكسبير عام ١٥٦١ في سنترفيلد حيث أخذ ابنه الاصغر هنري يدير المزرعة • كان هنري شخصية متقلبة ويواجه صعوبات دوماً غير ان شقيقه جون واصل ممارسة عمله المزدهر في ستراتفورد ،واصبح عام ١٥٦٥ عضو مجلس المدينة . وبحلول عام ١٥٧١ تولى منصب العمدة المرموق واصبح بمنزلة رجل دولة والعضو الرئيس في مجلس المنطقة وقاضيا • انجب ثلاثة أبناء آخرين هم غلبرت وجون وآن • وصار وليم في السابعة في سن تؤهله لدخول المدرسة •

لقد حان الوقت لدحض المفهوم الخادع ان شكسبير كان مزارعا ملهما• كانت أمه تنتمي الى عائلة مرموقة وأبوه رجل أعمال طموح وذا مقدرة غير عادية • وعلى الرغم من عدم وجود سجل (لماذا يجب ان يكون هناك سجل؟) يوثق دراسته فان من غير المعقول ان يهمل مثل هذين الابوين فرصة ارساله الى المدرسة المحليـــة • كان تعليم أبناء مواطني المدينة التي لهـــا ممثلون في البرلمان مجانياً حتى السادسة عشرة وكانت المدرسة من أفضـــل المدارس في البلاد • ولذا لابد أن نتصور شكسبير في عقد السبعينات من القرن السادس عشر جالساً في مقعده في الصف فوق قاعة مجلس المدينة حيث كان والـــده يشارك في تحديد مصائر المدينة•كان مدرسه الاول سايمن هنت، الكاثوليكي الورع ، ثم الويلزي توماس جنكنز الذي صوره بعدئذ بـــود في شخصية سير هيو ايفنز في مسرحية (الزوجات المرحات) • كانت دراسته حرة ولاسيما باللغة اللاتينية ، وبمساعدة كتاب النحو اللاتيني لمؤلفه للي تابع مطالعة الآثار

الكلاسيكية السهلة الفهم وأغرم باوفيد وقرأ بعض نتاج فيرجيل وربما بعض ملاهي بلوتوس ومآسي سنيكا • ويحتمل ان النسخة التي كانت عنده من الكتاب المقدس هي نسخة جنيف الشائعة المطبوعة عام ١٥٦٠ لا نسخه القساوسة التي طبعت عام ١٥٦٨ •

شهدت سنوات دراسته أحداثا مضطربة في انكلترا • بعد ان اغتالت ميري ملكة الاسكتلنديين زوجها لجأت الى انكلترا حيث وضعت تحت حراسة مشددة وتولى العرش بدلا منها ابنها العليل جيمز السادس وكان من اتراب شكسبير•ثم شرع البابا في الاصلاح المضاد• ودفع فيليب الثاني ملك اسبانيا مواطنيه البروتستانتيين في هولندا الى التمرد • وكانت فرنسا تشهد حربا دينية (في اثناء وجود اليزابيث في تشارلكـوت في عيد القديس بارثـولوميو عام ١٥٧٢ ذبح الكاثوليك البروتستانتيين الفرنسيين في باريس) • وحرمت اليزابيث نفسها من الكنيسة ونشبت انتفاضة كاثوليكية وحيكت مؤامرات على حياتهـا • وعلى الرغم من ذلك أفلحت في تجنب دخول انكلترا واسبانيا في حرب، غير ان دريك كان يغير على جزر الهند الغربية والمستعمرات الاسبانية في اميركا الجنوبية والبحر الكاريبي وانطلق عام ١٥٧٧ في رحلته التي دار فيها حول العالم •

شهد عقـد السبعينات ايضا أحداثا مثيرة في عالم المسـرح الصغير • كانت مسرحيات المعجزات التي يعود تاريخها الى القرون الوسطى ما تزال تقدم أحيانا بالاسلوب التقليدي كما هي الحال في كوفنتري التي لا تبعد سوى عشرين ميلا عن ستراتفورد حيث كان أعضاء النقابات يمثلون سلسلة مشاهد توراتية على عربات متنقلة (مواكب) • وكان على المـدن الاصغر من كوفنتري أن تكتفي بعروض أكثر تواضعا في حلبـة تحيط بهـا سدة ترابية دائرية أو صفوف خشبية مدرجة تعـد لجلوس المشاهدين وكانت تقام حول الحلبة عدة (بيوت) من الخيش على غرار خيم الاستحمام التي

تمثل مشاهد في المسرحية . كان الجحيم في الطرف الشمالي والجنة في الجانب الشرقي ممثلة بكوخ خشبي فيه عرش الرب ويمكن الصعود اليه من مسرح بارز . كان الممثلون ينتظرون في خيمهم حتى يدعوا الى اداء أدوارهم فيدخلون الحلبة حيث تقع معظم الاحداث وكان يحتفظ بخشبة المسرح للاحداث المتسمة بالتبجيل التي يظهر فيها الرب .

اتصفت الدراما الدينية في بداية عهد اليزابيث بالغرابة وبأنها من تراث عصر آخر . أما في المدارس والجامعات فكان الصبيان والشبان يقدمون مسرحيات لاتينية في قاعات الطعام وكانت فرق الممثلين تجوب البلاد وتعرض فصولا مسرحية تحفل بالتسلية الساخرة الصاخبة التي تشبه العروض البهلوانية . كان المكان المألوف لعروضهم المسارح الدائرية التي يعود تاريخها الى القرون الوسطى في الامكنة التي بقيت فيها هذه المسارح أو في فناء حانة وشرفاتها المحيطة بها . غير انه كانت ثمة فصول مسرحية تتصف بجد أكثر على الرغم من أنها لا يمكن أن تعد مسرحيات بالمعنى الذي نعرفه وقد كتبت لتقديمها في عروض خاصة في بيوت النبلاء وفي البلاط . كانت ثمة فرق من الممثلين تقدم هذه الفصول المسرحية ولا سيما في موسم عيد الميلاد ويمكنهم فيما بعد كسب رزقهم كما يشاءون في لندن أو الاقاليم . كانت الدراما اذن في حالة يرثى لها عندما كان شكسبير صبيا . كادت حركة الاصلاح أن تقضي على الدراما الدينية ولم يكن عصر النهضة قد أنتج دراما دنيوية تضاهيها وتحل محلها . وعومل الممثلون كأنهم متشردون ، وكان كثيرون منهم متشردين حقاً ، ولم تكن ثمة مسارح عامة .

حدث تطور ذو أهمية كبيرة قبل مدة قصيرة من مولد شكسبير ، اذ كتب نيكولاس اووال ، مدير مدرسة ايتن ، ملهاة على غرار ملاهي بلوتوس ليمثلها الطلبة وألف توماس ساكفيل وتوماس نورتن مأساة على

غرار سنيكا ليقدمها الطلبة في البلاط . وتعد مسرحية (رالف رويستر دويستر) أول ملهاة اعتيادية باللغة الانكليزية وتعد مسرحية (غوربودك) أول مأساة اعتيادية . يضاف الى ذلك ان (غوربودك) كانت اول مسرحية تؤلف بالشعر المرسل . هاتان مسرحيتان يمكن أن يعد معمارهما الدرامي الكلاسيكي نموذجا للفصول المسرحية المحلية العرضية التي لا شكل لهـا .

شهد عقد السبعينات في القرن السادس عشر تطورين مهمين آخرين. اعترف بالتمثيل رسميا مهنة مشروعة شريطة ان يتمتع الممثل برعاية نبيل . وفي عام ١٥٧٦ شيد أول مسرح عام في لندن . تبنى المشروع جيمز بيربج . النجار السابق العنيد والممثل في فرقة ايرل ليستر . كان حكيما في قراره تشييد مسرحه الذي سماه (ثييتر) في ضاحية شوردتش التي كانت تتوسع سريعا الى الشمال من اسوار المدينة وخارج سيطرة هيئة مدينة لندن ذات الاتجاه التطهري التي كانت تعد المسارح المرتجلة في حانات المدينة (بيوت دعارة) . جمع هذا المسرح ، كما ينبغي أن نتوقع ، بين مسرح القرون الوسطى وفناء الحانة ويتكون من مسرح دائري خشبي يضم شرفتين أو ثلاثا تحيط بحلبة مكشوفة ذات مسرح يبرز الى الامام يستطيع ان يتحرك فيه الممثلون بحرية .

سرعان ما أصبح لبيربج منافس ، اذ في غضون عام واحد شيد مسرح آخر هو مسرح (كيرتن) الذي كان أقرب الى المدينة بضع مئات الياردات. وكان الهدف من تشييده في ذلك الموقع اجتذاب جمهور مسرح بيربج . وظهرت منافسة من نوع آخر ، اذ فضلت الملكة اليزابيث الشديدة الحساسية في مسائل الذوق العروض الاكثر تمدنا والعروض الموسيقية التي يقدمها صبيان على الجهود الصاخبة التي يبذلها ممثلون كبار ذوو فظاظة ، ولذا استأجر مسؤول فرقة الصبيان المنشدين التابعة للبلاط غرفة في دير بلاكفرايرز المهجور بجانب النهر ليقدم فيها عروضا عامة لمسرحيات الفرقة

قبل تقديمها في البلاط . وكان لفرقة منشدي كنيسة سنت بول مسرحها الصغير ايضا . وهكذا شهد عام ١٥٧٧ مسرحين عامين مكشوفين ومسرحين مسقفين أو خاصين . ولكن أين [illegible] الشعراء والمسرحيون الذين يكتبون لهذه المسارح ؟

من الطبيعي ان شكسبير لم يكن يعرف اي شيء عن هذه التطورات وان كان لها تأثيرها في ستراتفورد . فمنذ عام ١٥٦٩ ، عندما تولى أبوه منصب عمدة البلدة ، زارت ستراتفورد فرقة الملكة للعروض المسرحية التي حظر عليها تقديم عروضها في البلاط لرداءتها وقدمت أول عرض لها في قاعة المجلس قبل السماح لها بتقديم عروضها للجمهور . ثم اصبحت ستراتفورد في عقد السبعينات مركزا اعتياديا تزوره الفرق المتجولة ولاسيما فرقة ايرل ليستر . وكانت فرقة ايرل حتماً هي التي اشتركت في تسلية الملكة حين أقامت بكينلورث في صيف عام ١٥٧٥ . كانت الاحتفالات واسعة ، ولاريب ان شكسبير تغيب عن المدرسة في يوم تقديم الموكب المائي الكبير في (سيدة البحيرة)* وجاب آريون ممتطياً ظهر دولفين .

اشترى أبو شكسبير في ذلك العام المزيد من العقار في ستراتفورد . غير ان احواله المالية تردت بعد مدة قصيرة . واذا كان كاثوليكيا ،وهو امر محتمل ،فلربما تأثر عمله بالغرامات التي فرضت بموجب اجراءات ازدادت صرامة ، أو ربما تورط في شؤون شقيقه هنري ، كما فعل في وقت لاحق حتما ، ولكن مهما كان السبب فانه اضطر بحلول عام ١٥٧٩ الى رهن عقار زوجته في ولمكوت وبيع حصته في ضيعة سنترفيلد . توفيت آن وعمرها ثمانية أعوام في السنة نفسها غير ان الابن الثالث ريتشارد كان قد ولد عام ١٥٧٤ وزاد الطين بلة انه كان يتوقع انجاب طفل آخر قريبا بيد ان وليم أصبح في السادسة عشرة في نيسان ١٥٨٠ اذ يرجح انه ترك المدرسة واصبح

* اسطورة من اساطير الملك ارثر . (المترجم)

قادرا على مساعدة أبيه في عمله . كان هذا اذن هو الوضع في بيت عائلة شكسبير في شارع هنلي ربيع عام ١٥٨٠ عندما اقترب دريك من بليموث عائدا من رحلته حول العالم . كان جون شكسبير يواجه مشكلات ولديه خمسة أبناء يعيلهم هم الرضيع ادموند وريتشارد في السادسة وجون في الحادية عشرة وغلبرت في الرابعة عشرة ووليم في السادسة عشرة . غير ان وليم كان عضوا نافعا وليس عبئاً وان يمكن ان يتصور المرء انه كان أقل اهتماماً بمهنة أبيه من الكتب الثلاثةالمثيرة التي نشرت تواً وهي رواية للي (يوفيوس)* وترجمة توماس نورث كتاب بلوتارك** و (تقويم الراعي) لادموند سبنسر الذي أهداه الى فيليب سدني*** .

اثبت شكسبير في سنوات حياته اللاحقة انه يهوى العلاقات العاطفية غير انه وجد حتماً في صباه نمط العمل الرتيب مثيرا للاحباط اذ كان يتوق الى ايجاد وقت للمطالعة والتأليف . بيد انه وجد بلا ريب بعض الوقت للكتابة في مرحلة المراهقة وكتب حتما أغاني وسونيتات وشعرا غير مقفى على غرار كتابات ويت وسري اللذين نشرت قصائدهما قبل مدة قصيرة من مولد شكسبير وقصائد رعوية تشبه قصائد الشاعر الجديد سبنسر . وفي غضون العامين اللاحقين تحول الفتى ذو العينين العسليتين والشعر الاصفر الضارب الى الحمرة — اذا صدقنا الالوان في نصبه التذكاري — الى شاب (وسيم حسن الهيئة) يمكن أن يغزو قلب امرأة .

---

* يوفيوس : رواية وضعها للي ونشر الجزء الاول منها عام ١٥٨٠ وتقدم صورة رومانسية المجتمع المهذب . (المترجم)

** بلوتارك كاتب سير ومؤرخ وناقد اغريقي شهير (نحو ٥٠ — نحو ١٢٥) . ترجم نورث كتابه (حيوات متوازية) الذي يعد مصدرا لمسرحيات شكسبير الرومانية . (المترجم)

*** The Shepheardes Calender اقدم مؤلف مهم لسبنسر (١٥٥٢ — ١٥٩٩) الذي يعد واحدا من اهم الشعراء الانكليز . (المترجم)

زواج شكسبير

كانت قرية شوتري تقع في الجانب الآخر من المروج على الحافة الغربية لمدينة ستراتفورد ،عاش في تلك القرية ريتشارد هاثاوي مع زوجته الثانية وأبنائه الكثيرين . توفي رتشاردز عام ١٥٨١ ، وعندما نسمع عن عائلته فيمابعد نعلم بوجود الزواج المقترح للابنة الكبرى بويليم شكسبير "William Shagspere". لعل الفتى المتقد حماسة الذي كان يشعر بالاحباط اغرم بالمرأة التي تكبره بثمانية اعوام غير ان آن التي كانت فرص زواجها تتضاءل سريعا لم تفعل شيئا لابعاده . وبحلول تشرين الثاني ١٥٨٢ اصبح مستحيلا اخفاء حقيقة انها حامل واضطر شكسبير الى تقديم طلب الى اسقف وستر لمنحه اذنا خاصا يسمح لهما بالزواج بعد طلب اعلان الزواج في الكنيسة مرة واحدة .دون الكاتب الذي سجل اصدار الاذن الاسمين بتهجية خاطئة هي الاتية :

Willelmum Shaxpere and Annam Whateley de Temple Grafton.

كانت اذن غلطة ارتكبها شخص اذ هناك قضية في اليوم نفسه تتعلق بويليم ويتلي . والدليل على ذلك العقد الذي عقده فلاحان من شوتري بعد يوم واحد أي في ٢٨ تشرين الثاني ويعفي الاسقف من المسؤولية اذا ظهر أي شيء شاذ بعد عقد الزواج على عجل . لم يكن هناك شيء غير مألوف في الاجراء ، ولان شكسبير كان قاصرا فلابد من اتخاذ مثل هذه الضمانات .

زف الاثنان بعد أيام قليلة ويرجح ان ذلك تم في قرية تيمبل غرافتن التي ذكرها الكاتب وهي أبعد من قرية شوتري لتجنب العيون المفرطة في التساؤل.

لابد ان آن انضمت ، على وفق تقاليد العصر ، الى عائلة جون وميري شكسبير في بيتهما بشارع هنلي حيث وضعت طفلتها الاولى سوزان في أيار ١٥٨٣ . اتضح ان زوجها محكوم عليه بان يقضي حياته تاجرا صغيرا في ستراتفورد . كان شقيقه غلبرت في سن تمكنه من أن يحل محله في متجر العائلة غير ان وليم قيد نفسه أو وجد نفسه مقيدا بالزواج وعندما عمد (هامنيت وجوديث ابن وليم شكسبير وابنته) في شباط ١٥٨٥ بدا أنه لم يكن ثمةمهرب . بيد أنه وجد مهرباً .

تقول رواية متأخرة ان سيرتوماس لوسي تشارلكوت أرغم وليم على « الهرب من موطنه » لانه ضبط يصطاد الغزلان في ارضه وهي قصة مثيرة وان كانت غير محتملة ربما استندت الى مخالفة بسيطة لقواعد حرمة أرض الآخرين . وطبقا لرواية اخرى عمل وليم زمناً « معلماً في الريف » وهناك من يقول انه عمل في قرية دورزلي في جنوبي كوتسولدز ويقول آخرون انه عمل في قرية رفورد في لانكشير ، وثمة ايضا من يعتقد انه رحل الى هولندا ضمن قوة مسلحة بقيادة ليستر بعد نشوب الحرب المكشوفة بين انكلترا واسبانيا عام ١٥٨٥ أو الى ايطاليا وهو الامر الاقل احتمالا . يحتمل انه رحل الى لندن حينما لم يعد يتحمل أعباء الحياة التي كان عليه تحملها . كانت فرقتان أو ثلاث فرق مسرحية تزور ستراتفورد كل عام واحدى هذه الفرق هي فرقة ورستر ومعها اكتشافها الجديد ادوارد الين الذي كان يصغر وليم بعامين . وعندما قدمت خمس فرق الى ستراتفورد عام ١٥٨٧ أصبحت جاذبية لندن لا تقاوم حتماً . كان ذلك العام نفسه الذي تزوج فيه معاصره ريتشارد فيلد أحد سكان ستراتفورد الذي تدرب طويلا عند صاحب مطبعة في لندن بأرملة صاحب العمل وتولى ادارة العمل .

ولعل فيلد وجد فرصة عمل لويليم . ويحتمل ، على أية حال ، انه رحـل الى لندن عام ١٥٨٧ تاركا زوجته وابناءه الثلاثة في رعاية ابـويه ويبـدو ان وضع أبيه كان سيئا انذاك اذ أنه طرد تواً من عمله من مجلس المنطقة الذي لـم يحضر اجتماعاته عـدة سنوات ورفعت عليـه دعـوى لـدَين على أخيه هنري كان قد تكفل بدفعه . بيد ان غلبرت اصبح في الحادية والعشرين وشقيقته جون في الثامنة عشرة وكانت نافعة جدا في البيت . اما ويليم شكسبير فكان في الثالثة والعشرين .

لنـــــدن

يوجد طريقان للوصول الى لندن من ستراتفورد . يستطيع المرء بعد عبور جسر كلوبتن التوجه يميناً شطر اوكسفورد أو التوجه مباشرة من خلال نبري وغريندن حيث يقال انه التقى الشرطي الذي رسم على غراره شخصية دوغبري* . كان الطريقان يلتقيان قرب وستمنستر ، مقر الحكومة المركزية، حيث بيوت كبار النبلاء . عندما كان يسير مبهورا صوب لندن من المؤكد أنه مر تحت البوابتين اللتين تربطان قصر وايتهول وكنيسة آبي والبوابتين الكبيرتين اللتين تربطان قصر وايتهول : مقر الملكة الرئيس ، وامتداده في الجانب الآخر من الطريق . وحين يصل تشارنغ كروس ينحرف شرقا في شارع ستراند وكوفنت غاردن ومنطقة تكاد تكون مكشوفة في جهـة والبيوت الكبرى التي تحف بالنهر في الجهة الاخرى وهي يورك هاوس ودرم هاوس وسومرست هاوس وليستر هاوس التي لا ريب في انهـا جعلته يفكـر في كينلورث . هناك ايضا كليات تدريب المحامين التي يتعلم فيهـا المحامون مهنتهم ويتعلـم فيها السادة ادارة ضياعهم ثـم يدخل المـدينة عند لدغيت .

كانت مدينة وستمنستر رائـعة وفسيحة ، وان شاهـد وليم مايشبهها من قبل في اوكسفورد . غير انه لم يشاهد البتة ما يشبه مدينة لندن التي انغمر فيها وكان عدد سكانها آنذاك مئة وخمسين ألف نسمة يتكدس معظمهم

---

* دوغبري Dogberry شخصية الشرطي الظريف في مسرحية (جعجعة بلا طحن) . (المترجم)

بين الاسوار على الرغم من أن الضواحي في الشمال أخذت تتوسع سريعا • كانت بيوت التجار والبقالين المشيدة من الآجر والخشب مألوفة له غير ان حجم المكان لم يكن متوقعا قط وبدا هائلا وكأنه يحجم وعدد سكان مئة مدينة من مثل ستراتفورد • كان الشارع الرئيس يؤدي الى لدغيت هل الذي يهيمن عليه مبنى كاتدرائية سنت بول المتداعي الذي يعود تاريخه الى القرون الوسطى وسقط برجه المدبب قبل بضعة أعوام وحيث دفن مؤخرا سيرفيليب سدني*• ثم سار في شارعي تشيبسايد وكورنهل الى شارع غريشيش الذي يخترق المدينة من الجنوب الى الشمال وهو الشارع الذي يضم حانات كثيرة من مثل حانة بورزهيد التي كانت المسرحيات ما تزال تمثل في فنائها • واذ يتجه شمالا يجد نفسه عند بيشوبسغيت ثم يتخذ الطريق المتجه الى مسرحي (كيرتن) و(ثييتر) وعندما يتجه جنوبا يصل النهر وجسر لندن • كان هذا الجسر وحيدا على نهر التيمز وكونت بيوت عالية كثيرة ذات أقواس تطل على الجسر شارعا آخر ويليه البرج وميناء لندن ولم تكن سوى السفن الصغيرة تستطيع اجتياز الجسر ذي الاقواس • وفي الطرف الجنوبي رفعت على الاعمدة رؤوس الخونة الذين اعدموا بعد اكتشاف آخر مؤامرة كاثوليكية •

وصل شكسبير لندن في اكثر اللحظات اثارة في تاريخها •حيكت المؤامرة لاغتيال الملكة اليزابيث وانقاذ ميري ملكة الاسكتلنديين وتنصيبها على عرش انكلترا بمساعدة اسبانيا • اقتنعت اليزابيث بعد تردد ان ابنة عمها ميري أخطر من أن تعيش زمنا أطول وأعدمت في شباط • كانت أزمة الحرب قائمة، اذ على الرغم من غارة دريك المثيرة على ميناء قادس الاسباني

---

* سير فيليب سدني (١٥٥٤ – ١٥٨٦) شاعر وسياسي وقائد عسكري انكليزي . (المترجم)

فان فيليب الثاني ملك اسبانيا كان يبني اسطولا تقرر ان يبحر في عام ١٥٨٧ أو في العام الذي يليه وكانت لندن تتهيأ على عجل لصد الغزو .

أثبت عام ١٥٨٧ ايضا انـه الاكثر اثارة في تاريـخ المسرح . اذا عبـر شكسبير النهر الى ساوثرك* ومر أمام كنيسة سنت ميري اوفري فانه يصل بانكسايد وهي منطقـة سجون ومباغ حيث يرى ـ ويشم ـ بيرغاردن ومبنى اسطوانيا مشابها يوشك ان يشيد هو مسرح (روز) . تنبأ صاحبه. وهو مراب مغامر ويفتقر الى الحذر الشديد اسمـه فيليب هينزلو ، بمستقبل مضمون الربح للعمل المسرحي . كانت لديه أسباب وجيهـة . فقد كانت هناك عدة فرق ممثلين بارزة يتحسن مستوى تمثيلها ووضعت الملكة نفسها مؤخرا فرقة من اثني عشر ممثلا بارزا تحت رعايتها . غير أن ما هو أهم من ذلك ظهور فرقة تمثيلية من طلبة الجامعات يؤلفون مسرحيات حقيقيـة لافصولا مسلية وصاخبـة . كان احـدهم جـون للي من اوكسفورد قـد ألف عددا من الملاهي المتقنة المسلية لفرق أطفال في بلاكفرايرز . أغلق المسرح الخاص الصغير مؤخرا ـ وجاء ذلك في مصلحة مسرح (روز) ـ غير ان للي كان محبوبا لدى الملكة وما يزال يؤلف لفرقة أطفال كاتدرائية سنت بول وينشد هؤلاء في مدرسة الانشاد قرب الكاتدرائية فضلا عن البلاط .

وثمة رجل آخر من اوكسفورد يحظى باحترام أقل مما يحظى به للي هو جورج پيل من اوكسفورد وروبرت غرين البارع الطائش من كيمبرج . ولعـل هينزلو التقى ايضا توماس لـوج ، معاصر پيـل في اوكسفورد ، وكريستوفر مارلو ، صديق غرين الذي قدم تـوا من كيمبرج وفي جيبـه نص مسرحية . وربما شاهد شكسبير ادوارد الين ، الممثل الرئيس في فرقة الادميرال ، وهو يمثل دور تيمورلنك في مسرح (روز) الجديد بعد شهور

* تلفظ سذرك ايضا . (المترجم)

قليلة ،اذاحدث ذلك فمن المؤكد انه كان مفاجأة حاسمة في اختيار مهنته . وكان ثورة ايضااذ في عصر ذلك اليوم ولدت الدراما الانكليزية الحديثة عندما ألقى الين قصائد مارلو .

مهما كانت الدوافع التي جعلت شكسبير يرحل الى لندن فقد أدرك ان ولعه الحقيقي هو التأليف للمسرح وهو سبيل كان يعني ان الشعر الذي سعى الى نظمه يمكن ان يصبح مادة مهنتــه . غير ان المسرحيات يجب ان تؤلف ، وعليه في الوقت نفسه أن يكسب رزقه . كان السبيل الوحيد هو الانضمام الى فرقة ممثلين ، وبتلك الطريقة يتعلم صنعته من الداخل ويجد سوقا محتملة لبضاعته .

استثمرت فرقة من نحو ثمانية ممثلين رأسمالا في أسهم مشتركة وملابس تمثيل على ان يقتسموا الارباح بنسبة المبلغ المستثمر . ومن هنا جاء الاسم « المساهمون » أو « المغامرون » . كان معهم صبيان أو ثلاثة يدربونهم على اداءأدوار النساء اذ لم تكن هناك ممثلات في المسرح العام طوال قرن آخر واستأجروا ممثلين جددا قليلين أو ممثلين قدامى ليس لديهم مال يستثمرونه لأداء الادوار الصغرى . ومن المؤكد ان شكسبير وجد عملا بمستوى أجير في اكبر الظن في فرقة الملكة التي كان روبرت غرين قــد شرع يؤلف لهــا المســرحيات .

مرت بضعة أعوام ، كما هو متوقع ، دون ان يسمع شيء عن الممثل المغمور والكاتبالمسرحي الطموح وليم شكسبير . ولا مفر من أن نتصوره (يعد) ويعيد كتابة مسرحيات قديــمة لفرقته ويجرب حظه في تأليف مسرحيات أصيلة عندما لا يكون مشغولا بتمثيل أو حفظ الادوار الكثيرة التي كــان عليه أن يتعلمها اذ كانت تقدم مسرحية اخرى عصر كل يوم من أيام الاسبوع وتضاف مسرحية جديدة الى ذخيرة مسرحيات الفرقة كل اسبوعين أو نحو

ذلك . وكانت الفرقة تمثل في الربيع في أحد المسارح العامه ولاسيما في مسرح (ثييتر) وتقوم في الصيف بجولة . فقد وصلت عام ١٥٨٩ ، على سبيل المثال ، الى مدينة كار لايل (في شمال غربي انكلترا) وعادت الى مسرحها في لندن لتقدم مسرحيات موسم الخريف قبل أن تنتقل شتاء الى احدى الحانات في شارع غريشيش لقضاء فصل الشتاء حيث تتدرب على المسرحيات التي تقدمها في البلاط .

كانت حياة الممثل في مثل هذه الفرقة ، وفرقة الملكة هي الفرقة المفضله على غيرها ،تمثل ثقافة حرة . كان الممثلون ، فضلا عن الترحال ، يقابلون حتماً الشعراء الذين يؤلفون مسرحياتهم ويختلطون بالنبلاء ورواد كليات القانون الذين يترددون الى مسرحهم ويدعونهم أحيانا الى تقديم العروض في قاعات الطعام . وفي عيد الميلاد كانت الفرقة تقدم عروضها أمام الملكة نفسها . كانت العروض الملكية في عهد الملكة اليزابيث تبدأ في ٢٦ كانون الاول وتصل ذروتها في الليلة الثانية عشرة أي في ٦ كانون الثاني وتقدم في الايام الاثني عشر أربع أو خمس مسرحيات تتبعها مسرحيتان أو ثلاث مسرحيات قبل بدء فترة الصوم . وبين عامي ١٥٨٧ و ١٥٩٢ قدمت فرقة رجال الملكة أربعة عشر عرضا من هذه العروض الملكية أي اكثر من أي فرقة اخرى . مهما كان حظ شكسبير في اتقان التمثيل عندما وصل لندن فلم يمر وقت طويل حتى تعود الحياة الفكرية والملكية في العاصمة ولم يعد يجد صعوبة فيتمثيل مجتمع كهذا في مسرحياته .

بدأت في الوقت نفسه حقبة جديدة ، فقد دُمر أسطول الارمادا الاسبانية وضعفت السيطرة الاسبانية على العالم الجديد . مات ليستر وحل محله ابن زوجته ايرل ايسكس الشاب الوسيم في رفقة الملكة التي تقدم بها العمر وبز الرجل المفضل الآخر عندها وهو سير والتر رالي . وفجأة

ازدهر أدب انكلترا على نحو لم يسبق له مثيل وكأنه احتفال بهذه التحولات. نشرت رواية (اركاديا)* لسدني وسونيتاته والكتب الثلاثة الاولى من (الملكة الاسطورية) **اما في المسرح فقد احدث مارلو والظرفاء الجامعيون الآخرون الذين انضم اليهم توم ناش ، ثورة جديدة . هناك ايضا (المأساة الاسبانية) لتوماس كِد وهي مسرحية أشباح وانتقام ودماء أثبتت دوما انها رائجة شأنها في ذلك شأن مسرحيات مارلو : (تيمورلنك) و (فاوستس) و (يهودي مالطا) .

---

* اركاديا : رواية نثرية تتخللها قصائد وأناشيد رعوية في أشكال شعرية مختلفة وهي في نسختين قديمة وحديثة . (المترجم)

** قصيدة بطولية تروي مغامرات فرسان القرون الوسطى يمثل فيها كل فارس فضيلة رئيسة وقد شجع نجاحها الناشر على طبع مؤلفات اخرى لادموند سبنسر . (المترجم)

المســرحيات والقصـــائد

الأول

وصل غرين الى نهاية حياته العملية التي شهدت صعودا سريعا • ففي ايلول ١٥٩٢ مات ضحية افراطاته في بيت اسكافي فقير حيث ألف سيرة ذاتية موجهة الى زملائه المسرحيين مارلو وناش وپيل بعنوان Gratsworth of Wit ناشدهم فيها ان يتخذوا من مصيره عبرة ولا يبـددوا قدراتهم في تأليف المسرحيات التي لا يستفيد منها سوى الممثلين ــ الدمى المتحركة والشواذ والقردة • لم يقتصر الامر على ذلك ، اذ يضيف ان ثمة ممثلا شابا لم يتخرج في جامعة ولم يكن سيدا بل هو «شيكسين» Shake-scene مغرور بلغت به الوقاحة ان ينصب نفسه كاتبا مسرحيا ويؤلف المسرحيات التي فضلها الجمهور على مسرحياته • لا شك في انه يشير الى شكسبيـر اذ استعمل عبارة (قلوب النمور الملفوفة في جلد ممثل) التي تحاكي بيتا في مسرحية لشكسبير هي هنري السادس ، القسم الثالث • يخاطب دوق يورك الملكة مارغريت التي اسرته قائلا :

يا قلب نمر ملفوفا في جلد امرأة !
كيف استطعت ان تفرغي الطفـل من دم الحيـاة
لكي تامري الأب بمسح عينيه به ،
وبرغم ذلك تبدين انك تحملين وجه امـرأة ؟
النسوة ناعمات ، لطاف ، حنونات ، مرنات ،

اذ يرجح ان ابنه الناجح استطاع مساعدته في تدبير أموره . كانت تلك سنوات حافلة بالعمل للمسرحي الشاب .

فقد ألف مسرحية ريتشارد الثالث ــ وابتكر فيها أول شخصية عظيمة وأكمل ثلاثية هنري السادس وتحول في سعادته الجديدة حتماً الى الملهاة والشعر الغنائي . تنتمي المسرحيات (ملهاة الاخطاء) و (ترويض النمرة) و (السيدان من فيرونا) الى هذه المرحلة الرعوية شأنها شأن السونيتات والقصيدتين الطويلتين (فينوس وادونيس) و (اغتصاب لوكريس) .

كان ، مثله مثل مارلو ، ما يزال معنياً بالشعر والحدث وفي رواية قصة مأساوية أو مخيفة أو ساخرة أو عاطفية . ان موقفه من شخوصه ، الجادة في الاقل ، يتميز بالتجرد وثمة قسوة في طريقة تحريك شخوصه وجعلها تتحدث وتعاني . كان بايجاز شاعرا شابا معافى سعيدا وناجحا في الثلاثين . غير ان نفوذ مارلو تناقص تدريجيا وتحولت الموسيقى العسكرية التي تكاد تكون وحشية لبيت سيده المميز الى مقياس أكثر مرونة ورقصاً ، حتى في مسرحية (ريتشارد الثالث) .

والآن ، بدل ان يمتطي الجياد المصفحة
ليرعب أرواح الخصوم الراعبين ،
يطفر رشيقا في حجرة احدى السيدات
على أنغام عود يبث الشهوة والاثارة

طبع صديقه ريتشارد فيلد مسرحية (فينوس وادونيس) أول نتاج ينشر لشكسبير طباعة جميلة عام ١٥٩٣ وراجت رواجا واسعا حتى انها طبعت تسع مرات في تسع سنوات . كان كل مؤلف يسعى الى ان يجد راعيا فأهدى قصيدته متفائلا الى هنري ريوثسلي ، ايرل ساوثمبتن ،وهو شاب في العشرين ثري وذو نفوذ واسع وعده بمكافأة أكبر اذا حظيت هذه الحكاية

العاطفية بقبوله ، وهو ما حدث فعلا • وفي العام التالي طبع فيلد مسرحيه (اغتصاب لوكريس) مهديا اياها ايضا لساوثمبتن ايضا* •

الهم نشر سونيتات سدني شكسبير ان يجرب النظم باتباع الشكل الجديد وكما في سونيتات سدني تمر أحداث القصة على نحو غامض بالسلسلة. انها موجهة بخاصة الى شاب وسيم يختطف عشيقته وهي امرأة سمراء متزوجة ثم يتحول الى شاعر آخر • واغلب الظن ان القصة اسطورية مثلها مثل قصة (فينوس وادونيس) واكثر قليلا من محض اطار لاسناد تأملات الشاعر في الحب والصداقة • ولكن عندما نشرت السونيتات بعد خمسة عشر عاما أضاف الناشر اهداء الى (السيد W. H.) • ان تحديد هوية هذا الشخص ـ والسيدة السمراء والشاعر المنافس ـ كان يمكن ان يحدد كثيرا نمط التفكير • لا يوجد ما يشير الى حقيقة السيدة والشاعر ـ أفضل تخمين هو تشابمان ـ ولكن من المغري ان نصدق ان الحرفين هما مقلوب الحرفين الاولين من الاسم هنري ريوثسلي Henry Wriothesley راعي شكسبير وهو ملهم السونيتات • ويرى بعض الدارسين ان W. H. كان نبيلا آخر أكثر شبابا ويدعى ويليم هيربرت William Herbert الايرل بيمبروك فيما بعد الذى لم يزد عمره على اثني عشر عاما في ١٥٩٢ • ويحتمل ان شكسبير كان يعرف ام بيمبروك وهي أخت سدني وكان يزور بيتها في ولتن شعراء كثيرون في ذلك العصر • وثمة احتمال آخر ، اذ نشر هنري ويلوغبي ، احد طلاب جامعة اوكسفورد ، عام ١٥٩٤ قصيدة بعنوان Willobie his Avisa

---

* روي ان الايرل ساوثمبتن (١٥٧٣ ـ ١٦٢٤) منح شكسبير الف باون لمساعدته على شراء شيء ما وذكر أيضا أن شكسبير قضى شهور الطاعون في ١٥٩٣ ـ ١٥٩٤ في منزل ساوثمبتن بهامشير وهناك الف النسخة الاولى من الملهاة (خاب مسعى الحب) . (المترجم)

يندب فيها حبه لأفيزا الفاضلة . يروي هذا في مقدمة نثرية لاحد الاقسام الرئيسة في القصيدة كيف باح بحزنه الى (صـديقه المعروف W.S) وهو (ممثل قديم) في لعبة الحب خرج توا من أزمة عاطفية مماثلة . لعل H. W. هو السيد W. H. والمعني بالاشارة هو شكسبير .

وذكر اغتصاب لوكريس في الابيات الاطرائيـة التي استهلت بهـ القصيدة بجعل علاقته العاطفية بالسيدة السمراء اكثر احتمالا . يتميز البيت في الاقل بانه أول اشارة أدبية الى شكسبيربالاسم . غير ان الفرضية غـير مقنعة واذا كان W. H. هو حقاً صديق شكسبير فلربما كان واحدا من مئات الشباب الذين لم نسمع بهم البتة . وقد يكون الرجل الذي حصـل على نسخة مخطوطة من السونيتات وقدمها الى توماس ثـورب لنشرها دون ان يأخذ موافقة شكسبير* .

كانت مثل هذه السرقة الادبية شائعة في ايام شكسبير اذ لم تكن هناك أي حقوق طبـع بالمعنى الذي نعرفـه . ويفترض ان الكتب والمسرحيات والنشرات تسجل كلها في سجل شركة القرطاسية التي تحمي الناشر ، لقـاء دفع ستة بنسات ، من أي اعتداء على حقوقه ، الا انه لـم يكن هناك من يحمي المؤلف العاثر الحظ أو فرقة الممثلين التي باع لها مسرحية ــ لقـاء ٥ باونات أو ٦ باونات في المعتاد ــ من ناشـر لا يعرف الحـذر واستطاع الحصول على نسخة منها . لذا عنيت الفرق كثيرا بحماية مخطوطات مسرحياتها ونادرا ما كانت تعد نسخة واحدة ولكن أحد الممثلين يحفظ أحيانا النص على أفضل نحو ويدونه ويبيعه لناشر يصدر النسخة بوصفها النص الحقيقي .

---

* ترجم الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا بعض سونيتات شكسبير ووضع مقدمة لها في اثنتي عشرة صفحة . (المترجم)

هذا ماحدث عام ١٥٩٤ لمسرحية هنري السادس ــ الجزء الثاني التي نشرت باسم (الجزء الاول من النزاع) .

كانت المسرحيات تنشر في المعتاد بحجم قطعة الربع وهــو مصطلح يصف حجم الصفحة المطبوعة وأطلق على هــذه النصوص المسروقــة اسم (طبعات قطع الربع الرديئة bad quartos) وأشهرها (هاملت) .

عندما تسوء الامور كانت الفــرق تضطر الــى بيــع بعض ماتملكه ، وهكذا وجدت مسرحية (تيتوس اندرونيكوس) طريقهــا الى السوق . والارجح انها نشرت قبل مسرحية (هنري الســادس) فأصبحت أول مسرحية طبعت لشكسبير . كانت الامور سيئة جدا عام ١٥٩٤ . فقد أثر الطاعون تأثيرا سيئا في الفرق المسرحية واضطرت فرقة ايرل بيمبروك الى رهن الملابس وأفلست فرقة الملكــة وتحولت الى فرقة من الدرجة الثانية تضــم ممثلين اقليميين . والفرقتان الوحيدتان اللتان صمدتا في العاصفة هما فرقة الادميرال (أي فرقة قائد البحرية هوارد الذي قاد الاســطول في مواجهة الارمــادا الاسبانية) وفرقــة الايرل داربــي أو فرقــة اللورد سترينج فيما مضى . توفي داربي في الربيع الا ان الفرقة عثرت على شخص آخر يرعاها هو اللورد هنزدن الذي كان يتولى منصب اللــورد تشيمبرلن ، المسؤول عــن سيرة المسارح وتقديم المسرحيات في البلاط * .ولانه ابن عم الملكة اليزابيث الاثير لديها فان الفرقة لم تستطع ان تجد أفضل منه .

---

* يتولى واجبات الرقابة المسرحية في بريطانيا اللورد تشيمبرلن المسؤول عن اجازة المســارح في لنــدن كافة (عدا دروري لين وكوفنت غاردن) وفي القصور الملكية والنصوص المسرحية برمتها وقد الغيت الرقابــة عــام ١٩٦٨ . (المترجم)

خادم اللــورد تشيمبرلن

عندما أعيد فتــح المسارح اقتصر اختيار شكسبير حقاً على فرقتين . وعلى الرغم من أن الفرقتين كانتا مستعدتين للتعامل واياه وقبول مسرحياته فانه قرر الارتباط بفرقة تشيمبرلن واستمر معها الى نهاية حياته العملية . كان أعضاء الفرقة الآخرون هم جون هيمنغ الذي يبدو انه كان زميلا سابقا لشكسبير في فرقــة الكلمــة ، والموسيقي اوغسطين فيلبس ، وويل كيمب الراقص والكوميدي الشــهير ، وهنري كوندل وريتشارد بيربج ، الابــن الاصغر لجيمز بيربج صاحب مسرح (ثييتر) الذي عملت فيه فرقــة تشيمبرلن في صيف عام ١٥٩٤ الممطر ، أما الفرقة المنافسة ، وهي فرقة الادميرال بقيادة هينزلو ونسيبه الجديد ادوارد الين ، فقد استقرت مرة اخرى بمسرح روز في الجانب الآخر من النهر . سكن شكسبير غير بعيد من مسرح (ثييتر) وقريبا من بيشوبسغيت .

من المؤكد ان شكسبير وجد الحياة المسرحية وقد تغيرت تغيرا غريبا اذ لم تبدل سنوات الطاعون فرق الممثلين على نحو تام حسب بل انها شهدت زوال الرجال الذين انجزوا المرحلة الاولى من الثورة المسرحية . توفي غرين عام ١٥٩٢ بعد عام من مقتل مارلو في شجار ومات كِد ايضا . وكان پيــل يحتضر وتحول لوج الى مغامر ولم يعد يكتب للمسرح . ولم يؤلف لِلي

شيئا منذ توقف صبيان كاتدرائية سنت بول عن التمثيل قبل ثلاثة أعوام وكان ناش كاتب نشرات وليس كاتبا مسرحيا • اصبح شكسبير وهو في الثلاثين بلا منافسين وارسخ قدماً من تشيتل وانتوني مندي •

بدا هذا وضعا خطيرا بالنسبة الى هينزلو الذي اصبح المالك الفعلي لفرقة ادميرال وممتلكاتها • كان مارلو كاتبه المسرحي ، وعلى الرغم من انه استطاع تقديم مسرحياته الست كان لابــد من ان يجد آخرين يزودونه بنصوص جديدة اذا اراد منافسة شكسبير وفرقة تشيمبرلن • كــان الحــل بارعاً في جانبــه التجاري • كان أقــل اهتماما بالنوعية من الــكم وتقديم مسرحيات جديدة على نحو سريع فاسس نوعاً من ورشة مسرحية اجتذب اليها شعراء فقراء مغريا اياهم باستخدامهم لقاء أجور ثابتة وان لــم تكن اجــوراً عاليــة • وهكذا انضم اليــه مندي وتشيتل واثنان من معاصري شكسبير هما تشابمان ودريتن وهما شاعران بحق ، الا انهما يفتقران الى القدرة على تأليف المسرحيات ، وآخرون أصغر ســنا ، في بداية العقــد الثالث ، أي جيــل ثان يحل محل المفكرين الجامعيين ومنهم توماس هيود وتوماس ديكر وبن جونسن وجون مارستن • وبعد ان جمع رجاله شرعوا في العمل فريقا واحدا يقدمون المسرحيات على نطاق واسع ويركز كل واحد منهم في أفضل ما يستطيع عمله ـ المأســاة ، الملهــاة ، المسرحيات المثيرة للعطف وغيرها • ويبدو ان مندي ، واضع الحبكات البارعة ، كان هــو المسؤول عن الفريق •

كانت احدى المسرحيات التي الفهــا مندي ورجاله ، أو في الاقــل اثنان منهم هما تشيتل وهيود ، مسرحية (سير توماس مور) • ولكن حين ارســلت الى الرقيب ليجيز عرضهــا رفض اجازتها وأعادهــا لتنقيحها •

استدعى مندي اثنين آخرين من اعضاء الفريق لتقديم المساعدة ، أحدهما ديكر والآخر مؤلف مجهول كتب ثلاث صفحات جديدة تصف تهدئة سور اعمال شغب . ان هذه الصفحات الثلاث ذات أهمية عميقة لأن المؤلف المجهول هو شكسبير وان النص بخطه في رأي بعض الباحثين . واذا كان الامر كذلك فانها أداة مهمة جدا تساعد على تصحيح الاغلاط الموجودة في النص المطبوع لمسرحياته لأننا نستطيع أن نفهم نوع الغلطة التي قد يرتكبها عامل المطبعة عندما يستعمل نصاً مثل هذا ويخلط بسهولة بين الحروف d, o, e. ثمة سبب قوي للاقتناع بان الخط هو خط شكسبير ، الا ان ذلك يعتمد بلاشك بالدرجة الاولى على مقارنته بنماذج حقيقية من كتابته ولا توجد من هذه سوى ستة نماذج وكلها تواقيع يعود زمنها الى ما بعد نحو عشرين عاما . ويبدو غير محتمل ان شكسبير سيحاول المساعدة على تنقيح مسرحية لفرقة الادميرال ألفت لتنافس مسرحية ألفها لفرقة تشيمبرلن .

لقد ثبت انه كان حقاً احد اعضاء فرقة تشيمبرلن من سجل يبين انه تسلم مع كيمب وبيربج اجوراً نيابة عن الفرقة لقاء عرضين قدمتهما في البلاط بقصر غرينتش في عيد الميلاد عام ١٥٩٤ اذ دفع لهم مبلغ ٦ باونات و ١٣ شلنا و ٤ بنسات فضلا عن مكافأة من الملكة بلغت ٣ باونات و٦ شلنات و ٨ بنسات وهي المكافأة السخية المعتادة التي تمنحها الملكة اذا كانت حاضرة أي ٢٠ باونا أو ما يعادل ٦٠٠ باون اليوم وهو مبلغ كبير يوزع على ثمانية مساهمين بعد دفع ثمن الازياء وأجور ممثلي الادوار الصغيرة والفتيان . لا توجد سوى نفقات قليلة اخرى لأن دائرة الاحتفالات الملكية كانت تجهز الفرقة بأي ملحقات مسرحية تحتاج اليها بما فيها الشرائح الخشبية و (بيوت) الخيش التي تستعمل مناظر كما في مسرحيات القرون الوسطى . من المؤكد ان

احدى الملاهي التي قدمتها الفرقة هي مسرحية (ملهاة الاخطاء) التي مثلت في الليلة اللاحقة في قاعة كلية غري Gray's Inn* كانت تلك الليلة الكبرى التي يستضاف فيها الجيران من كلية انر تمبل Inner Temple وكانت الاحتفالات صاخبة جدا حتى انه عقدت في اليوم التالي محاكمة كاذبة ادين فيها ساحر لانه قدم لهم فرقة من اشخاص سيئين وعاديين لاحداث اضطرابات بتقديم (مسرحية الاخطاء والتشويش) .

وعلى الرغم من ان فرقة الادميرال قدمت عروضا في البلاط بقدر عدد العروض التي قدمتها فرقة تشيمبرلن في أعياد الميلاد فانها تراجعت في العام اللاحق. وبحلول عام ١٥٩٦ بزتها فرقة تشيمبرلن تماما اذ قدمت العروض الستة كافة . بدت قدرة شكسبير على نظم الشعر الغنائي لا تنضب وتدفقت الملاهي والمآسي والمسرحيات التاريخية من قلمه وكلها تحفل بشعر السونيتات الرائع . ماذا قدمت فرقة الادميرال حيال مسرحيات (جهد الحب الضائع) و (حلم منتصف صيف) و (روميو وجولييت) و (ريتشارد الثاني) ؟ واني لها ان ترقى الى شعر كهذا ؟ -

لأن قيثارة اورفيوس اوتارها عضلات الشعراء
ولمستها الذهبية يلين لها الحديد والحجر ،
وبوسعها أن تدجن النمور وتجعل الحيتان الضخمة
تهجر الاعماق التي لاتسبر لترقص على الرمال .

---

* ترجم مصطلح Inn هنا (كلية) لأن Gray's Inn هي واحدة من احدث (كليات المحكمة) Inns of Court وهي مؤسسات اسست في عهد الملك ادوارد الاول لتدريب المحامين ، بقيت اربع منها وكلها في لندن . يدرس فيها طلبة القانون قبل ان يصبحوا محامين . (المترجم)

أو هـذا ؟

والمـوت الذي امتص معسول انفاسك
لا سـطوة لـه على جمالك :
انت لم تقهري ، وبيرق الجمال مازال
قرمزياً في الشفتين منك والخـدين
وعلم المـوت الشاحب هناك لـم يتقدم .

لم يستطع هينزلو منافسة فرقة تشيمبرلن في البلاط الا انه استطاع، في الاقل ، تزويد فرقته وجمهورها بمسـرح افضل وانفق اكثر مـن مئة باون على طلاء مسرح (روز) و (نفقات اخرى) . كانت مثل تلك التحسينات والتصليحات ضرورية ولاسيما بعد ظهور منافس فيبانكسايد هوفرانسز لانغلي الذي شيد عام ١٥٩٥ (اجمـل واكبر) مسرح في لندن هـو مسرح سوان في حديقة باريس على بعد نحو ربع ميل غربا .

بعد قليل من افتتاح هذا المسرح شاهد هـولندي اسمه دي وت احدى المسرحيات فيه ووضع مخططا له .ولسـوء الحظ ضاع هـذا المخطط غير ان صديقا له عمل نسخة منه ولما كانت هذه هي الرسم الوحيد لداخل المسرح اليزابيثي آنذاك فانه ذو أهمية كبيرة .. غير انه يجب أن ينظر اليه بحذر لأنه ليس نسخة حسب ، بل ان الرسم الأصلي نفسه لم يكن سوى مخطط رسم من الذاكرة اذ لو ان دي وت رسمه وهو جالس في المسرح اذذاك لما رسـم منظرا من علٍ . الا ان المخطط يعطي انطباعا عاما جيدا . تشاهد الشرفات المحيطة بالحلبة ذات خشبة المسرح البارزة التـي تغطي جـزءا منها مظلة تستند الى أعمدة . وتقع في الخلف منطقة حجرات الممثلين ويقود بابان منهـا الى خشبة المسرح ، وفوقهما شرفة فيها متفرجون كما يبدو ، وفي القمة كـوخ هو (السماء) في مسارح القرون الوسطى حيث يحدث الرعد والاصـوات السماوية ـ والارضية ـ . ويفترض وجـود شرفـة اخرى ، قـد تكون

للموسيقيين ، تخفيها المظلة . السمة الاكثر غموضا هي غياب مسرح علوي اذا كان الناس في الشرفة متفرجين حقاً وليسوا ممثلين وغياب مسرح صغير ذي ستار في الاسفل . بحلول هذا الوقت عندما لم تعد المسرحيات تسليات بهلوانية ربما سمح بدخول المتفرجون الذين كانوا يقفون في الشرفة السفلى الى حلبة المسرح لمصلحة الممثلين ، وهنا نسمع أول مرة بسادة يستأجرون مقاعد جلوس على خشبة المسرح .

لا بد من ان فرقة تشيمبرلن كانت شأنها شأن هينزلو مهتمة بمغامرة لانغلي ولو لسبب آخر .

اوشكت مدة تأجير الارض التي شيـد عليها مسرح (ثييتر) ان تنتهي ، واذا فشل بيربج في تجديد الايجار بشروط معقولة ، كما بدا ذلك محتملا ، فان مسرح سوان يصبح بديلا مقبولا .

شــؤون ستراتفــورد

كان الوضع في صيف عام ١٥٩٦ على هذا النحو عندما تلقى شكسبير أخبارا بأن ابنه هامنيت مريض جدا . ولعــل الصبي توفي قبل أن يصــل شكسبير الى ستراتفورد . ويتعذر قراءة مسرحية (الملك جون) التي كان يؤلفها آنئذ بلا اكتشاف صدى حزنه الشديد ، وهو يحتضن الجسد الصغير بذراعيه ، في بيت الشعر الذي يلقيه فولكونبرج وهو يراقب هوبرت يرفع جسد الصبي آرثر : « لكم هو سهل وأنت ترفــع انكلترا برمتهــا ! » . كان هامنيت ابن شكسبير الوحيد ويمثل انكلترا كلها في حزنه . كان عمره احدى عشرة سنة فقط .

بقي الكثير جدا . صحيح ان زوجته كانت في الاربعين أي اكبر منه بثمانية أعوام وربما لم تكن رفيقة ملائمة جدا لشاعــر تعود حياة لنــدن والبلاط . الا انه كانت هناك جوديث ، توأم هامنيت ، وشقيقتها سوزانا التي تكبره بعامين . كان أبوا شكسبير ما يزالان على قيد الحياة ومعهما شقيقته وثلاثة أشقاء اذ كانوا جميعا غير متزوجين ولم يكن ادموند ، الاخ الاصغر . يكبر هامنيت كثيرا . كان البيت في شارع هنلي صغيرا لا يناسب عائلة كهذه ولا سيما اثر الحرائق الكبيرة في العامين السابقين عندما تحتم هدم أحــد جانبي البيت لمنع امتداد النار اليه . كانت فترة فاجعة دمــر فيها اكثر من مئتي بناية معظمها في الجانب الاعلى من المدينة واصبح كثيرون من اصدقاء

شكسبير ، ومنهم آل كويني وستيرلي ، بلا مأوى ، غير ان بيوتا جديـدة شيدت وأجملها بيت العمدة الثري توماس روجرز في هاي ستريت •

حينما كان جون شكسبير عمدة ستراتفورد قبل ثلاثين عاما تاق في أيام رفاهيته الى تحسين وضعه فطلب منحه شعار النبـالة الا انه لم يتابع الامر في وقت الشدة • والآن عاد الى طلبه من جديد بعد ان تحسن وضعه بفضل ماحققه ابنه من نجاح، اذ على الرغم من ان هامنيت مات فقد كان لـه أربعة أبناء وثمة احتمال في انجاب أحفاد آخرين يحصلون على مرتبة سيد • وكان ويليم متحمسا كأبيه قبل بضعة اشهر غير ان الامر بدا الآن شيئا لا قيمة له • كان اللقب مفيدا يعزز وضع سوزانا وجوديث وشقيقه ايضا وكان شكسبير نفسه طموحا • لذا قدم الطلب ، وفي تشرين الاول منـح السيد جون شكسبير شعار النبالة الذي يصفه بأنه يتألف من سيف مذهب ورمح من الفضة المطعمة بالفولاذ ، وعلى رأس الدرع صقر يبسط جناحيه ويجثم على اكليل من الورد حاملا رمحا مذهبا •

لم يتعجل شكسبير مغادرة ستراتفورد لان فرقة تشيمبرلن كانت في جولة ولم يكن هناك سبب لعودته الى لندن قبل ان تبدأ الفرقـة بالتدريب على المسرحيات التي ستقدمها في البلاط وربما شرع في اثناء هذه الاقامة الطويلة بستراتفورد في تأليف مسرحية (تاجر البندقية) الساخرة القاسية وهي آخر مسرحية تتخللها قصائد غنائية يرقى فيها شعره المبكر الى الكمال • وحين عاد أخيرا الى لندن وجد شؤون فرقته مضطربة بعض الشيء • كان اللورد هنزدن قد مات • وعلى الرغم من ان ابنه وافق على ان يصبح راعي الفرقة فانه لم يكن يحمل لقب اللورد تشيمبرلن أي مسؤول الرقابة على المسارح والمسرحيـات •

اصبح اللورد كـوبهام الذي لم يكن صديقا للممثلين هو المسؤول • واستغلت سلطة مدينة لندن هذه الفرصة الذهبية • كانت قد فشلت في منع

تشييد مسرح سوان الذي لم يكن في رأي السلطه سوى مكان آخر يلتقي فيه « اللصوص وسراق الخيول وسماسرة البغايا وممارسو الخيانـة وغير ذلك » ، وأفلحت السلطة في اقناع اللورد كـوبهام ومجلس شورى الملكة باغلاق مسارح الحانات في مدينة لندن • وكانت تلك ضربة شديدة لأن فرقة تشيمبرلن كانت تستعمل حانـة كروس كيز شتاءً عندما يصبح مسـرحا (كيرتن) و (ثييتر) بعيدين من سكان لندن•ولذا اتفقت الفرقـة مع لانغلي على حجز مسرح (سوان) في الموسم الشتوي ونقل شكسبير مكان اقامتـه من بيشوبسغيت الى بانكسايد • وسرعان ما تمخضت علاقته بلانغلي عـن شـجار •

كان لانغلي على خلاف شديد مع ويليم غاردنر وهو من منطقة سري وقد هاجمه لانغلي علناً وهو مصيب فيمايبدو في ذلك ووصفه بانه « رجل وضيع كذاب » وهو قول لايمكن ان يوصفه بانه استرضائي • ثـم استعان غاردنر الغاضب بربيبه التافه ويليم ويت وهدد الاثنان لانغلي مما دفعه الـى طلب الحماية القانونية من اعتدائهما عليه • كان الخطـر حقيقياً في زمـن مضطرب يحمل فيه السادة السيوف الخفيفة في أغمدتها وفيـه مسؤولون حذرون من مثل دوغرتي • اتهم مارلو بجريمة قتل قبل ان يغتـال بخنجر ونجا بن جونسن باعجوبة من الشنق لانه أغمد سيفه في جسم مثل زميل • لم يكن غاردنر يتورع عن عمل أي شيء • ومن المؤكد انه صمم بوصفه قاضيا على أن يبذل قصارى جهده لتحطيم لانغلي باغلاق مسرح سوان • ولا شك في أن هذا هو سبب تقديم شكسبير المساعدة الى لانغلي وسعي ويت بدوره الى الحصول على ضمانات يلزم بها ويليم شكسبير وفرانسز لانغلي وامرأتين غير معروفتين هما دوروثي سوير وآن لي • وواضح ان شكسبير كان خصما

خطرا مع الله كان صحيحا اذا كان غاردنر هو اصل شخصية القاضي (شالو) * لأن الصفة الهجائية ليست قاسية على نحو ما يستحقه القاضي المسيء ، ولعل شالو المثير للمتاعب وغير الفاعل صورة ساخرة من جار شكسبير في ستراتفورد وخصمه التقليدي سير توماس لوسي** .

لم يستطع شكسبير ان ينتفع من معاملة اللورد كوبهام الذي اعتبر عائلة كروس كبير في وجهه ووجه فرقته . وفي مسرحيته التالية هنري الرابع أطلق اسم جده سير جون اولدكاسل على شخصية ابن هنري اللاهي المرح الشجاع . احتج كوبهام وسر أعداؤه الكثيرون ، وما اسرع ما غير شكسبير الاسم الى فالستاف وهو شخصية تاريخية اخرى [illegible] الحرب . التصق الاسم بكوبهام واصبح يلقب بفالستاف [illegible] . انتقم شكسبير ، الا أن كوبهام مات عام ١٥٩٧ غير مأسوف عليه من الممثلين ، ولكن سر شكسبير ورفاقه عندما عين راعيهم اللورد هنسدن الثاني مديرا للرقابة وأصبحوا مرة اخرى فرقة تشمبرلن .

عاد شكسبير الى ستراتفورد بعد زمن قصير . كان لديه مال يريد استثماره وكان حكيما مثل أبيه اذ قرر استثماره في العقار . كان منذ مدة يريد شراء نيو بليس « البيت الجميل المشيد من الآجر والخشب » مقابل

---

* القاضي شالو Justice Shallow: شخصية شكسبيرية ترد في علاقتها بالفالستاف في مسرحية هنري الرابع ـ الجزء الثاني ، وفي مسرحية الزوجات المرحات يهدد بإثارة ضجة بسبب ضرب فالستاف رجاله وقتل غزلانه واقتحامه مسكنه . (المترجم)

** سير توماس لوسي : نبيل عاش في منطقة قريبة من ستراتفورد ، وهناك حكاية ترى أن شكسبير سرق احدى غزلانه وارانبه من أرضه الذي امر بجلده وسجنه فانتقم منه شكسبير بقصيدة هجاء قاسية مما ادى الى طرده من ستراتفورد الى لندن . (المترجم)

كنيسة غلد ومدرسته القديمة . كان صاحب البناية ويليم اندرهل (سـ... وماكرا) . طلب مبلغا كبيرا ودفع له شكسبير في ايار ٦٠ باونا لقاء البيت والمخزنين والحديقتين والبساتين الملحقة به . وبعد بضعة اسابيع سمم ... أندرهل المجنون أبـاه .

كان البيت يحتاج الى الاصلاح . فهو في وضع سيء . ويحمل جـزء مسرحية هنري الرابع بصور تكشف انشغال شكسبير بالبناء ـ (الهيكل والاساس الضخم في الارض) ، (مثل امرىء يرسم نموذج بيت) وغير ذلك . وباع طناً من الحجر لسلطة المدينة لاصلاح جسر كلوبتن وربما كان بقايـا المخزنين المتهدمين . كان ذلك بيته الاول ويتمثل سروره بالاعمال المنزليـة المألوفة بالاستعارات المنزلية التي تخللت مسرحياته في تلك الحقبة ومسرحياته اللاحقة جميعا على حد سواء : « انسج قوتنا بذراع السلام » . « مثـل النحل الذي يمتص الرحيق من كل زهرة » اذ لابد انه كان هناك نحـل في الحديقة التي أهملت طويلا وتولى تنظيمها :

ليس بوسعه ان يعشب هذه الارض بدقة كهذه ...

فأعداؤه يجذرون بمعية اصدقائه

فاذا استأصل عدوا كيما يزيحه .

نزع معه صديقا وزعزعه .

حين رفع شكسبير رأسه من العمل في حديقته عصرا كان يرى التلاميذ يجرون (شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا) في الطرق الفرعيـة عند زاويـة بيته . ووصف طبعا تشتت جيش بانه مثل (تفرق جمع التلاميذ ، يسرع كل تلميذ نحو بيته وساحة لعبه) على نحو مختلف تماما عن سيرهم البطيء جدا صباحا كما كان يراقبهم . لقد شعر حتما بالألـم اذ كان ينبغي ان يكون هامنيت بينهـم .

ملاهي الحقبة الوسطى

كان لموت هامنيت تأثير عميق في شكسبير الانسان والفنان. لم يتحول الى مواضيع مأساوية كما يتوقع أن يفعل انسان أقل منه شأنا ، بل العكس هو الصحيح ، فان المسرحيات التي ألفها في السنوات القلائل اللاحقة اكثر اتصافا بالمرح . غير ان فيها رقة وحنواً جديدين وامتدادا للعطف وفهم الشخصيات من الطبقات والاعمار كافة . لم يعد عاشقا معنيا بنفسه وشاعرا على غرار العشاق والشعراء في مسرحياته بل اصبح كاتبا مسرحيا ذا اهتمام شديد بالناس جميعا وانعكس التحول في اسلوبه . خف الابتهاج الغنائي وكتبت الملاهي التاريخية والرومانتيكية من (هنري الرابع) الى (الليلة الثانية عشرة) بلغة أقرب الى اللغة التي يستعملها الناس حقا من اللغة التي استعملها في المسرحيات التي قبلها . ويكفي ان نقارن نهاية (تاجر البندقية) بافتتاحية (هنري الرابع) لكي نلاحظ التحول من النزعة الغنائية الجميلة وغير المسرحية الى شعر مسرحي ذي سمة طبيعية أكثر . ها هي كلمات لورينزو في (تاجر البندقية) :

يطل القمر ساطعا : في ليلة كهذه
والريح العذبة تقبل الاشجار برقة ،
والاشجار لا تنبس بصوت ، في ليلة كهذه
احسب ان طرويلس ارتقى اسوار طروادة
وأرسل روحه حسرات نحو الخيام الاغريقية
حيث كانت كريسيدا في تلك الليلة راقدة .

وها هو هاري في (هنري الرابع)

برغم اننا مرهقون ، ووجوهنا شاحبة بهمومها ،
فاننا نجد متسعا للسلم الراعب ان يلهث
ويتنفس ، متحدثا بنبرات ضيقة الزفير عن معارك جديدة
نبدأها على شواطىء قصية ، نائية ...

الفت مسرحياته الاقدم شعرا بالدرجة الاولى وهو مقفى غالبا . واقتصر النثر على الشخوص الهزلية التي تبقى جديرة بان تذكر اكثر من معظم الشخوص التي تؤدي الادوار شعرا في مسرحياته لان الشعر الغنائي ليس المادة التي يصنع منها الرجال والنساء . كتبت مسرحيات هذه المجموعة في الغالب ، نثرا أصبح هو كلام الملوك فضلا عن المهرجين وخلق منه شكسبير كثيرا من أحب شخوصه ــ فالستاف وبنديك وبياتريس وروزالند . وباختصار تراجع الشعر الغنائي أمام النثر المسرحي كما قاد النثر المسرحي بدوره الى الشعر المسرحي .

يحتمل ان شكسبير لم يعد يصاحب فرقته في جولاتها بعد ان اشترى نيوبليس بل راح يمضي الصيف في ستراتفورد مع عائلته ماوجد الى ذلك سبيلا . كان مفيدا لفرقة تشيمبران ان تمنح كاتبها المسرحي الوقت لتأليف المسرحيات التي اعتمد عليها ازدهارها ولا يحتمل انه اعترض على مثل هذا النظام . لذا يمكننا تصوره وقد استقر بنيوبليس في صيف عام ١٥٩٧ مع زوجته وابنتيه الصغيرتين يؤلف هنري الرابع وربما يجد بعض الوقت لحضور حفل زفاف شقيقته جون الذي يرجح انه كان في مكان ما جوار ستراتفورد . كان زوجها وليم هارت صانع قبعات وقد سكن الاثنان في البيت الذي يقع في شارع هنلي الذي اخلته العائلة عندما انتقلت الى نيوبليس .

وجد شكسبير لدى عودته الى لندن ان احداثا غير سارة وقعت في اثناء غيابه . فقد توفي جيمز بيربج المسن ولم يستطع ابناه كوثبيرت وريتشارد

تـجديد عقد ايجار الارض التي شيد عليها مسرح (ثييتر) وزاد الطين بلـة ان لانغلي واجه مشكلات في تموز لانه سمح لفرقة الايرل بيمبروك بتقديم ملهاة ساخرة بعنوان (جزيرة النوارس) في مسرح (سوان) • وأمر مجلس شورى الملكة بغلق المسارح جميعا وسجن بعض الممثلين ومؤلفي المسرحية ناش وبن جونسن لان في المسرحية « ما يحرض على الفتنة ويعد افتراء » • وحين رفع الحظر العام في تشرين الاول رفض السماح للانغلي بتجديد رخصة استعمال (سوان) مسرحا ولجأ الى تحويله الى سيرك • ويبدو ان غاردنر انتقم ايضا • وكان هذا يعني ان مسرحي (ثييتر) و (سوان) وحانات لندن اقفلت جميعاً في وجه فرقة تشيمبرلن في حين كانت فرقـة الادميرال تشغل مسرح (روز) • كان المسرح الوحيد الآخر هو (كيرتن) الذي لا يسهل الوصول اليه شتاءا واضطرت فرقة تشيمبرلن مؤقتا الى استعمال هذا المسرح القديم من الدرجة الثانية •

ربما باعت الفرقـة أربعا من مسرحيات شكسبير لناشرين في عامي ١٥٩٧ ـــ ١٥٩٨ لكي تصمد في هذه الحقبة الصعبة • كانت المسرحيات هي (ريتشارد الثاني) و (ريتشارد الثالث) و (هنري الرابـع) و (جهـد الحب الضـائع) والاخيرة أول مسرحية نشرت وعليهـا اسم شكسبير • ولابـد من أن نشير الى أن شكسبير نفسه لم يبـع المسرحيات للناشرين ولم تكن له سيطرة على اصدارها بعدئذ وتباينت النوعية بحسب الناشر • كانت النسخة التي طبعها وليليم وايت من مسرحية (جهد الحب الضائع) ، على سبيل المثال ، رديئة في حين اصدر فالنتين سمز طبعة جيدة من مسرحية (ريتشارد الثاني) وان وقع في ٦٩ غلطة ، وحين طبعها ثانية صحح ١٤ غلطة الا انه اضاف ١٢٣ غلطة اخرى • لـم تعامل المسرحيات بوصفها أدبا جادا ولم يقبل نشرها أفضل الناشرين • وعلى الرغم من ان شكسبير ربما أصر

على رؤية المسودات فانه كان متساهلا ومنشغلا جدا بما يؤلفه ولم يكلف نفسه كثيرا مراجعة ما طبع مما ألفه .

لم يكن الجميع يتبنون موقفا من المسرحيات يتسم بالاحتقار كموقف الناشرين . ففي ايلول ١٥٩٨ نشر مدرس اسمه فرانسز ميرز كتابه : بالادس تاميا : كنز الفطنة ، ويمثل احد اقسامه محاولة رائعة لايجاد نظراء للشعراء الانكليز المعاصرين . وعلى الرغم من أن الكتاب لاقيمة نقدية له الا انه ثمين فيما يتضمن من المعلومات عن شكسبير . وليست بنا حاجة الى استاذ جامعي لينبئنا ان شكسبير كان أفضل كاتب ملاهٍ ومآسٍ في عصره بل الى معاصر ذكي على تماس بالكتاب والمسرح لينبئنا ان سونيتاته كانت متداولة بين اصدقائه وذكر اثنتي عشرة مسرحية ألفها . كان ميرز مولعا جدا بالموازنة فيما كتبه ــ ست ملاهٍ تقابلها ست مآسٍ ــ الذي قد يفسر اغفاله الاجزاء الثلاثة لمسرحية هنري السادس والعنوان غير الصحيح (جهد الحب الرابح) بدلا من (ترويض النمرة) .

كان كتاب (بالادس تاميا) قد خرج توا من المطبعة عندما افتتحت فرقة تشيمبرلن موسمها الخريفي في مسرح (كيرتن) بتقديم مسرحية جونسن المهمة الاولى : (كل انسان ومزاجه) . ذكرت رواية ان شكسبير كان مسؤولا عن قبول فرقته مسرحية جونسن ، ومثل فيها حتماً . وتعد قائمة جونسن التي تضمنت اسماء الممثلين الرئيسين ، والحقت بعدئذ بمجموعة أعماله المطبوعة ، أول سجل ثابت على اشتراك شكسبير في التمثيل وهي أول قائمة كاملة بممثلي الفرقة . اصبح كوندل وسلاي مساهمين كاملين غير ان بيستن وديوك كانا يمثلان لقاء أجور ولم يصبحا البتة من حملة أسهم الفرقة .

كانت المسرحية ملهاة واقعية هادفة وثورة على مسرحيات شكسبير الرومانتيكية التي سخر منها جونسن في مقدمته . رد شكسبير في مسرحيته (كما تهواه) برسم صورة معتدلة لجونسن تتمثل بوصفه جاك (الظريف).

الذي يطمح الى (تنقية العالم الملوث) . لم يكن بين جونسن وشكسبير شيء مشترك سوى العبقرية . كان أحدهما متعجرفاً ، عدوانياً وقليل التحسر والثاني عطوفاً على رفاقه ولا يتخذ من عمله أداة للدعاية .

لدينا مثال على سخاء شكسبير في هذا الوقت على وجه التحديد . تضرر صديقاه ادريان كويني وابنه ريتشارد كثيرا بالحرائق في ستراتفورد . وحين وصل ريتشارد الى لندن بعد قليل من عرض مسرحية (لكل رجل مزاجه) كتب الى شكسبير يطلب بالحاح الحصول على قرض بمبلغ ثلاثين باوناً لمساعدتهما على التغلب على مشكلاتهما . لم يُضيع شكسبير وقتاً في الرد وربما توجه لمقابلته فورا في مكان اقامته قرب كاتدرائية سنت بول اذ كتب ريتشارد في اليوم نفسه الى أبيه ان مواطنه وعد بمنح القرض . وهذه القطعة هي الوحيدة الباقية من مراسلات شكسبير .

مســـرح غلــوب

قدمت طلبات اخرى للحصول على أموال من شكسبير في ذلك الشتاء. لـم تكن فرقة تشيمبرلن تنوي البقـاء الى ما لا نهاية في مســـرح كيرتن ، فاختارت بعد دراسة دقيقة موقع مسرح جديد في بانكسايد قبالة مسرح (روز) تقريبا مما أثار ذعر هينزلو . مثلت الفرقة في ٢٦ كانون الثاني أمام الملكة في قصر وايتهول ، وبعد يومين شنت الفرقـة الغارة الجريئة التي خططت لها بعض الوقت . وعلى الرغم من ان مســـرح (ثييتر) اصبح في أرض أجنبية فانه يعود ، على وفق تفسيرهما العقد ، الى الشقيقين بيربج فتسلح أعضاء الفرقة بالفؤوس وغزوا الموقع ، وبتوجيه النجار بيتر ستريت بدأوا بهدم البناية و « نقلوا بقوة وتهور الخشب كله من هناك » على حد قول خصوم الفرقة . وعقدت صفقة خشب في مسرح (ثييتر) ، ولا ريب في ان المنظر كان غريبا عندما راح شكسبير ورفاقـه يدحرجون الالـواح والعوارض الخشبية في شارع بيشوبسغيت وعلى جسر لندن الى بانكسايد. وهناك شيد ستريت في أرض موحلة مقابل مسرح (روز) مسرحا آخـر للفرقة أطلق عليه اسم (غلوب) وكان شعار الفرقة هرقل يحمل الارض على كتفيه وهورمز للجهد الهائل الذي بذله أعضاء الفرقة .

استعمل ستريت ما استطاع انقاذه من الخشب غير ان بعضه كـان لا يصلح للاستعمال . ولم يكن مسرح (غلوب) الجديد مسرح (ثييتر) القديم مقاماً في موقع جديد . وكانت مسرحيات ١٥٩٩ مختلفة عن مسرحيات

١٥٧٦ التي استعد لتقديمها جيمز بيربج قبل الثورة المسرحية،وعرف شكسبير ورفاقه من خبرتهم الطويلة ما يريدون على وجه الدقــة . يجب ان يكون الجمهور مرتاحا قدر الامكان غير ان خشبة المســرح هي المهمــة . كانت مستلزمات الابواب السحرية للاتصال بالجحيم تحت خشبة المسرح موجودة فضلا عن الاجهزة القريبة المقابلة في الاعلى ومنها تنظم الزيارات القدمة من الفضاء . الا ان الشيء الاهم هو ايجاد مسرح علوي متطور تطـورا ثم يبرز فوق الجزء الامامي من خشبة المسرح في مستوى الشرفــة الوسطى وتحته مسرح اوطأ ذو ســتارة يمكن استعماله لعرض مشاهد داخليــة . وهكذا أمكن ، بوجود ثلاثة مســارح ومستويين واستعمال الفنــاء ان دعت الحاجة ، عرض أصعب مسرحيات شكسبير وضمان تدفق الاحداث بلا توقف في موقع التمثيل كله . بدأ شكسبير يؤلف لهذا المسرح مسرحيته (هنري الخامس) وهي مسرحية تاريخية تحتاج الــى امكانيات المسرح كلها.

أضافت فرقة تشيمبرلن مسرحا الى ممتلكاتها المشتركة . أحدثت عشرة أســهم خصص نصفهــا للاخوين بيربج اللذين أسهما في مــواد مسرحهما وخصصت الاسهم الخمسة الاخرى لاعضاء الفرقة الذين دفعوا نفقــات تشييد البناية وكان شكسبير أحدهم . ووصف مسرح (غلوب) بعد زمن قصير من افتتاحه بانه « مسرح شغله وليم شكسبير وآخرون » وأخــذ يضيف الى دخله ، كاتبا مسرحيا وممثلا ، عشر أرباح المســرح نفسه . كان يحصل من التأليف على زهاء عشرة باونات عن كل مسرحية ، ويحصل بوصفه ممثلا على ثمن مايدفعه المشاهــدون الواقفون ونــصف مايــدفعه شغلة المقاعد في الشرفات ، ويحصل بوصفه أحد اصحاب المسرح على عشر النصف الآخــر من نصف ايراد الشرفة . وهناك فضلا عن ذلك المكافآت الكبيرة التي تحصل عليها الفرقة عندما تقدم عروضها في البلاط . وبحلول القرن الجديد يرجح ان دخله بلغ ما يعادل خمسة آلاف باون حاليا معفــاة

من الضريبة • ولا عجب ان الممثلين في مسرح (روز) ، وكلهـم مدينون لهينزلو الذي تعمد ذلك ليبقي سيطرته عليهم ، كانوا يحسدون الشركـة الحرة المزدهرة في الجانب الآخر من الطريق وشرع هينزلو نفسه يبحث عن موقع آخر لمسرح بعيد قدر الامكان من (غلوب) •

عندما كان شكسبير ورفاقه يهدمون مسرح (ثييتر) وصل سبنسر الى لندن لاجئاً من ايرلندا حيث نهب الثوار بيته وأحرقوه • توفي بعد شهر واحد فقيرا كما يبدو ودفن في وستمنستر آبي • كانت الثـورة مشتعلة في ايرلندا واستطاع اسكس الطموح الذي يصعب التنبؤ بتصرفاته اقنـاع الملكة بارساله لقمع الثـورة • انطلق فـي آذار على رأس جيش واصطحب معه الايرل شاوثمبتن قائدا للفرسان •

كتب شكسبير قبل نهاية مسرحية (هنري الخامس) :

لو ان قائد امبراطوريتنا الكريمة الآن ، كما قد يفعل في يوم قادم ، يأتينا من ايرلندا حاملا التمرد مذبوحا على سيفه ، فما اكثر الذين يتركون المدينة الوادعة لكيما يستقبلوه !

لم يستطع اسكس قمع الثورة • وبعد ان ضيع الصيف في حملات عقيمة ثـارت اعصابه وصالـح تايرن قائـد الثوار وتخلى عـن قيادة جيشه والتمس رحمة الملكة اليزابيث التي أمرت باعتقاله • وعلى الرغم من انهـا سرعان ماطلقت سراحه فقد اصبح رجلا محطما لايوثق به وخسر حظوته لديها ومركزه في البلاط • أصبح ابن عم الملكة ومحبوب الشعب رجلا خطرا في هذا الوقت وبقيت وراثة العرش بلا حل •

أغلب الظن ان مسرح (غلوب) افتتح بمسرحية هنري الخامس في خريف عام١٥٩٩ بعد زمن قصير من طرد اسكس •

لاشك ان شكسبير نفسه مثـل دور الجوقـة . وعلى الرغم من انه اعتذر في مقدمته عن عدم ملاءمة المسرح الجديد لعرض المسرحية فانه شعر حتماً بالفخر وهو يقدم المسرح الى الجمهور . لم يشترك في مسرحية (لكل رجل مزاجه) التي قدمت بعدها وهي مسرحية مضطربة ومملة سخر فيهـ جونسن من تعلق شكسبير بمظاهر الحياة الارستقراطية ومن شعاره .

اضطرت فرقة تشيمبرلن الى بيع بعض ممتلكاتها لجمع المال لبنـاء مسرح (غلـوب) وعرضت عـام ١٦٠٠ أربع مسرحيات لشكسبير علـى الناشرين هي (تاجر البندقية) و (حلم منتصف ليلة صيف) و (جعجعة بلا طحن) و (هنري الرابع ، الجزء الثاني) . سجلت جميعها في سجـل المطبوعات وسجلت المسرحيتان الاخيرتان معاً وهو أمر يثير الاهتمام اذ كانت تلك اول مرة دون فيها اسـم شكسبير . وكانت الفـرقة قـد اكتشفت قبل بضعة ايام أن احد الممثلين العاملين باجور اختلق نسخة من مسرحية (هنري الخامس) ليبيعها لناشر والحصول على مبلغ بطريقة غير شريفة . بذلت الفرقة ما في وسعها لمنع نشرها ، غير أن النسخة المشوهة طبعت وأضيفت بذلك الى مجموعة الطبعات الرديئة لمسرحيتي (هنري السادس بجزأيهـ الثاني والثالث) و (روميو وجوليت) في مكتبات بيع الكتب قرب كاتدرائيـة سنت بـول . وسرعان ما اصبحت (زوجات ونـزر المرحات) التي الفها شكسبير في نحو هذا الوقت المسرحية المشوهة الخامسة .

على الرغم من تخفيف واجبات شكسبير ممثلا على نحـو تدريجي فقد كانت تلك حقبة حافلة بالنسبة اليه . عمل بجد لرفد مسرح (غلوب) بمسرحيات جديدة تسهم في نجاح الفرقة وفي تسديد القروض التي اضطرت الى استداناتها بدفع معدل فائدة باهظ . استطاع شكسبـير في ١٥٩٩ ــ ١٦٠٠ تأليف مسرحية (يوليوس قيصر) ومسرحية (كما تهواه) معتمدا على رواية (روزالنـد) لتوماس لوج ، ووضع موسيقاها توماس مورلي .

وبحلول عيد الميلاد عام ١٦٠٠ قدم مسرحية ثالثة الى ادارة الاحتفالات الملكية هي (الليلة الثانية عشرة)* التي قدمت في قاعة قصر وايتهول الكبيرة في الليلة الثانية عشرة من عام ١٦٠١ بمناسبة زيارة ضيف الملكة اليزابيث البارز النبيل الايطالي الشاب فيرجينيو اورسينو ، دوق براسيانو ، وتكريما لاليزابيث نفسها التي كان متوقعا ان تتصور نفسها اوليفيا اذ ماتزال في تقاليد البلاط الملكة السحرية التي يعجز الزمن عن هزم شبابها وجمالها . كانت الملكة في الثامنة والستين حقاً ، اسنانها سود وتتجمل بشعر مستعار احمر وقد تغضن وجهها . لم يكن شكسبير واهما ازاء قوة الزمن المدمرة . بل هي فكرة ثابتة في شعره المبكر : (الزمن المدمر) و (الزمن المفترس) و(الزمن النهم) . كان ينظر الى الزمن حتى الآن من منظور الشباب ، اما مسرحية (الليلة الثانية عشرة) فانها تمثل انتقالا ومصالحة مع الزمن وقبولا لحقيقة انه هو نفسه لم يعد شابا ، ولذا أخذ ينظر الى الشباب بعينين حانيتين من منظور العمر . انها الملهاة الاخيرة والاكمل في ملاهي الحقبة المتوسطة .

زار ستة سادة مسرح (غلوب) بعد شهر في يوم الجمعة ٦ شباط وطلبوا من فرقة تشيمبرلن تقديم عرض خاص لمسرحية شكسبير (ريتشارد الثاني) في اليوم اللاحق . اعترضت الفرقة واحتجت بانها مسرحية قديمة لن تجتذب جمهورا واسعاً ولكنها وافقت عندما عرض عليها أربعون شلناً . وفي عصر يوم السبت مثلت الفرقة مأساة قتل الملك ريتشارد امام جمهور يشعر بخيبة أمل . واندفع في صباح اليوم التالي ثلاثمئة رجل مسلح من أتباع اسكس من مقره في ستراند بلندن بقيادة الايرل اسكس وتوجهوا الى لدغيت وتشيبسايد يدعون المواطنين الى تحرير الملكة من مستشاريها الاشرار

* ترجمها الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا واصدرتها دار المأمون عام ١٩٨٨ .
(المترجم)

ولكن لم ينضم أي شخص اليهم . استسلم اسكس المتهور واعتقل بقية القادة ومنهم ساوثمبتن. وبعد عشرة ايام حوكموا وادينوا بالخيانة وحكم عليهم بالاعدام غير ان الحكم على ساوثمبتن خفف الى السجن المؤبد وفي ٢٥ شباط أعدم صديق الملكة الشاب في برج لندن . ورطت فرقة تشيمبرلن في التمرد دون ان تدري لأن عرض مسرحية (ريتشارد الثاني) كان جزءا من المؤامرة هدف الى تذكير المواطنين بانه يمكن خلع الملوك . استجوب اعضاء الفرقة فظهر انهم أبرياء ، ومثلوا مرة اخرى عشية اعدام اسكس .

قدمت فرقة الادميرال ثلاثة عروض في البلاط في أعياد الميلاد في تلك السنة ، الا انها لم تعد تقدم عروضها في مسرح (روز) . تركت بانكسايد لفرقة تشيمبرلن وانتقلت الى الجانب الآخر من النهر ، الى فنزبري شمالي كريلغيت حيث شيد هينزلو والين مسرحا جديدا جميلا على غرار (غلوب) هو مسرح (فورتشن) وان كانت خريطته مربعة . وماهو أهم من ذلك ظهور ، أو عودة ظهور ، فرقتين أخريين في البلاط هما (فرقة أطفال سنتبول) و(فرقة اطفال الكنيسة) . لم يواجه شكسبير منافسة البتة من فرقة الصبيان التي مثلت آخر مرة قبل عشرة أعوام . الا ان فرقة تشيمبرلن نفسها كانت مسؤولة عموما عن المشروع . اذ قبل عشرة أعوام من وفاة جون بيربج حول جزءا من بنايات بلاكفرايرز الى مسرح خاص ثان في قاعة طولها سبعون قدما وعرضها خمسون قدما مجهزة بخشبة مسرح وشرفات ومقاعد . حالت احتجاجات السكان دون افتتاح هذا المسرح ، الا أن ولديه أجرا القاعة عام ١٦٠٠ لمسؤول فرقة أطفال الكنيسة واستؤنفت العروض . هاهنا شيء جديد يثير اهتمام المواطنين الذين تدفقوا على بلاكفرايرز ومدرسة الانشاد التابعة لكاتدرائية سنتبول . على الرغم من أن مسؤولي الفرقتين لم يكونا في مستوى براعة قلم شكسبير الذي اقتصرت مؤلفاته على فرقته فانهما

اجتذبا أفضل الكتاب المسرحيين الاخرين . وهكذا بدأت حرب المسارح المربحة للفتيان لا لفرق الممثلين الكبار .

كان بن جونسن وجون مارستن شابين مشاكسين لهما أفكار مختلفة في الدراما . حاكى جونسن ساخرا في مسرحيته (لكل رجل مزاجه) أسلوب مارستن الطنان وردّ مارستن بان شهّر بجونسن في احدى المسرحيات الاولى التي قدمتها فرقة سنتبول . ورد جونسن من خلال مسرحية (مرح سنثيا) التي آلفها لفرقة الكنيسة وسخر فيها من مارستن وصديقه ديكر على السواء . سُرت لندن وتحمس الجميع لمتابعة ما يحدث بعد ذلك ولم تخب امالهم . ففي خريف ١٦٠١ مثلت فرقة الكنيسة مسرحية جونسن (الشويعر) التي سخر فيها من ديكر في شخص دمتريوس الذي يلبس الممثلين أزياءهم ومن مارستن في شخص الشويعر كرسينوس . يستدعى الاثنان أمام قيصر ويعطي جونسن أو هوراس الفاضل كرسينوس حبة ليرغمه على تقيؤ كلماته الطنانة . وبعد بضعة اسابيع يجيء رد ديكر ومارستن في مسرحية (ساتروماستكس) التي قدمتها فرقة سنتبول . يساق هوراس الى ويليم روفوس ويعين دمتريوس وكرسبنوس قاضيين . يفضلان الا يعطياه حبات خشية نتانة الاهانة السوداء التي يُحدثانها ، غير انهما توجاه بالقراص وهو نبات عشبي له شوك على شكل شعور رقاق ويجعلانه يقسم بأن ينبذ حب الظهور والغرور . أراد جونسن الرد ، بيد انه كان قد أغضب الحكومة بسخريته من كتاب آخرين غير الكتاب المسرحيين المنافسين وطلب منه السكوت . كانت تلك آخر جولة في حرب المسارح .

قدم طلبة جامعة كيمبرج في عيد الميلاد في ذلك العام ملهاة (العودة من بارناسوس) ويقدم فيها كيمب وبيربج وهما يطريان زميلهما شكسبير الذي أذل جونسن المغرور . ولكن تبقى علاقة شكسبير بحرب المسارح

والعقوبة التي أسهم في ازالها بجونسن لغزا مع أنه أضاف هامشا الى ... والتنافس بين الاطفال في مسرحية (هاملت) التي كان يؤلفها آنذاك .

ربما فاتته ذروة الحرب الكلامية لان اباه مات في أيلول ويفترض انه عاد الى ستراتفورد ليشترك في تشييعه أو انه عاد اليها بعد زمن قصير . ربما عالج الرجل العجوز في مرضه الاخير طبيب شاب من بيدفوردشير اسمه جون هول بدأ يمارس مهنته توآ في ستراتفورد . وثمة تغيرات اخرى في بيت شكسبير في شارع هنلي . فقد أنجبت شقيقته جون مؤخرا طفلا هو أول ابن شقيقة لشكسبير . وغادر شقيقه الاصغر ادموند ستراتفورد ليصبح ممثلا مثله . وعهد الى شقيقه غلبرت مهمة التفاوض على شراء ضيعة من وليم كومب وابن اخيه جون مساحتها ١٢٧ ايكرا من الارض الزراعية في اولد ستراتفورد شمالي المدينة . لذا صار شكسبير في ربيع عام ١٦٠٢ سيداً صاحب أرض وصاحب أجمل بيت في ستراتفورد . وكان ايضا في ذروة قدراته ويوشك ان يحقق أعظم انجازاته .

بيد ان صحة الملكة اليزابيث تدهورت ، وبعد احتفالات عيد الميلاد انتقل البلاط الى الجانب الآخر من النهر ، الى ريتشموند حيث قدمت فرقة تشيمبرلن في الثاني من شباط ١٦٠٣ مسرحية هي (هاملت) في أكبر الظن التي أكملها شكسبير توآ . واذا كان الامر كذلك حقآ فان شكسبير لم يشاهد الملكة مرة اخرى وودعها بهذه الكلمات :

طاب مساؤك يا أميري الحبيب ، وحملتك الى راحتك الابدية أسراب من ملائكة يرتلون !

خــادم الملــك

انبثق عصر آخر أقل التصاقا بنزعة البطولة . كان العاهل الجديد ، جيمز ملك اسكتلندا ، رجلا حسن النية الا انه عنيد ومتحذلق يقترب من شكسبير في السن . وكانت الملكة أميرة دانمركية مسرفة وأم أبنائه الثلاثة هنري واليزابيث وتشارلز . لم يبدد الملك جيمز وقتاً في اعادة تنظيم بلاطه كما شاء وتعيين انصاره وابعاد خصومه .. ثبت روبـرت سسل ، ابـن اللورد بيرغلي ، في منصب كبير الوزراء وسرعان ما منحه لقب ايرل سالزبري ومنح فرانسز بيكن لقب فارس وأطلق سراح ساوثمبتن ، راعي شكسبير ، وسجين رالي في البرج وسرعان ما شملت اعادة تنظيم البلاط للشؤون المسرحية . وفي غضون شهرين من اعتلاء جيمز العرش شمل برعايته شكسبير ورفاقه . لم ينطو تغيير الرعاية نفسه على أي تغيير في دخل أعضاء الفرقة . اذ على الرغم من انهم أصبحوا أعضاء الفرقة الملكية ويلبسون الزي القرمزي الملكي فانهم لم يكونوا يتقاضون أجورا لأن وظيفتهم فخرية . بيد ان تغيير العاهل انطوى على تغيير في حظ الفرقة . كانت تقدم ستة أو سبعة عروض في البلاط كل عام في عهد اليزابيث ، اما في عهد الملك جيمز فلم تقل عن عشرين عرضا . ولما كانت الفرقة الملكية تقدم معظم هذه العروض فان ذلك يعني زيادة كبيرة في دخلها . شملت فرق لندن المسرحية الاخـرى جميعاً بالرعاية الملكيـة . واصبحت فرقة الادميرال تدعى فرقة الامير هنري وفرقة جديدة في مسرح كيرتن تدعى فرقة الملكة آن وفرقة أطفال الكنيسة في بلاكفرايرز تعرف باسم فرقة أطفال احتفالات الملكة .

كان شكسبير في التاسعة والثلاثين في بداية العهد الملكي الجديد . مرت عشرة أعوام على نشر مسرحيته الاولى وعشرة أعوام على وفاة مارلو . وفي ذلك العقد المدهش ألف شكسبير زهاء عشرين مسرحية من (جهد الحب الضائع) و(روميو وجوليت) الى (الليلة الثانية عشرة) و (ترويلوس وكريسيدا) و (هاملت) موصلا الثورة التي بدأها الظرفاء الجامعيون الى ذرى لم يحلم بها غرين الحاسد . وخلقت انجازاته ، فضلا عن ذلك ، مدرسة كتاب مسرحيين لم ير مثيل لها من قبل ولم ير ما يماثلها منذ ذلك الحين في انكلترا أو أي قطر آخر . غير ان النجاح لم يفسده وبقي متواضعا ومهذبا ، مثلما وجده تشيتل قبل عشرة أعوام . وبقي محبوباً في كليات القانون حيث قدمت مسرحياته وعرف تحبباً باسم ويليم الفاتح .

على الرغم من بشائر النجاح فقد بدأ العهد الجيمزي بداية مشؤومة . حل الطاعون باعتلاء جيمز العرش فاغلقت المسارح وتوفي ثلاثون ألف شخص في لندن قبل أن يعاد فتح المسارح في الربيع التالي . كان ذلك اسوأ وباء في حياة شكسبير . وقامت فرقة الملك بجولة مثلت في أثنائها مسرحية (هاملت) في اوكسفورد وكيمبرج وكانت النتيجة ان أحد ممثلي الفرقة المستأجرين ، ويحتمل انه الممثل الذي أدى دور مرسيلس ، استظهر نسخة من المسرحية وكتبها لأحد الناشرين . وهكذا ظهرت الطبعة الرديئة للمسرحية السادسة وهي أشهر هذه الطبعات في لندن في ذروة الطاعون . ويحتمل ان شكسبير نفسه اعتكف في نيو بليس بستراتفورد لينقح مسرحية (خير ماانتهى بخير) التي استعصت عليه ولم تكن قد انتهت بخير وليؤلف مسرحية (صاعا بصاع) ، الملهاة الجادة التجريبية التي يكشف عنوانها عن غرض جاد اكثر من الملاهي التي سبقتها من مثل (جعجعة بلا طحن) و (كما تهواه) و (الليلة الثانية عشرة) . وبحلول تشرين الثاني انضم

الى فرقته ثانية وراح يتدرب على تقديم عرض مسـرحي في مورتليك على نهر التيمز غربي لندن اذ تلقت الفرقة امرا بالتوجه الى ولتن حيث يوجـد بيت الايرل بيمبروك قرب سالزبري . كان البلاط هناك . وفي الثاني من كانون الاول قدم شكسبير ورفاقـه أول عرض مسرحي أمام الملك . ويبدو ان المسرحية كانت (كمـا تهـواه) . وسرعان ما غادر جيمز ولتن الـى هامبتن كورت حيث اقيمت احتفالات عيـد الميـلاد الاولى هناك . قدمت فرقة الملك سبع مسرحيات احداها (حلم ليلة منتصف صيف) ومأساة غير ناجحة لجونسن بعنوان (سيجانوس) اشترك شكسبير في تمثيلها في آخر توثيق لاشتراكه في التمثيل وربما اصبح منذ ذلك الحين حرا في تكريس وقته كله في التأليف وانتاج المسرحيات . ونلمحـه في مسرحية هاملت يدرب رفاقه : « ارجوك ان تلقي العبارة كما قـرأتها لك ، كـأنها تقفز خـفة على لسانك ... لائم الكلمة حركتها ، والحركة كلمتها ،متقيدا بهذا الشـرط وهو ألا تتخطى حشمة الطبيعة »* . تلاشى بطيئا التقليد السائد في القرون الوسطى وهو التحدث بصخب وتمزيق العاطفة اربا اربا ، غير ان شكسبير لـم يسمح بهذا في فرقته . فسح ابتعاده عن التمثيل المجال لممثلين جـدد وزيد عدد المساهمين في الشركة من تسعة الى اثني عشر .

كاد الطاعون ينتهي بحلول نهاية شباط ووجد شكسبير لنفسه مسكنا جديدا في لندن قرب كريلغيت في رأس شـارع منكويل (موغل) عند ملتقاه بشارع سلفر في بيت كريستوفر ماونتجوي ، صانع عصائب شعر النسـاء

---

* هاملت . الفصل الثالث ، المشهد الثاني ص٩٩ ، ترجمـة جبرا ابراهيم جبرا ، دار المـأمون .

الغالية والمتقنة . تورط شكسبير هنـا في مسألة عائلية ، اذ كانت لماونتجوي ابنة اسمها ميري رغب أبوها في ان يزوجها بمتدرب لديه اسمه ستيفن بيلوت ووافق شكسبير عن طيب خاطر على تشجيع اكمال الزواج فاستخدم أقصى قدرته في اقناع بيلوت موضحا مزايا زواجـه بميري والمنافع الاخرى التـي يحصل عليها عند موت الاب . امكن التغلب على حياء ستيفن وثبت شكسبير خطبتهما بان جعـل احدهما يمسك بيـد الآخر وتزوجا في تشرين الثاني . وليست هذه آخر مرة يسمع فيها عن المسألة .

المآسي الكبرى

شرع شكسبير في اغلب الظن في تأليف مسرحية (عطيل) في بيت ماونتجوي • علمه النثر المسرحي في مسرحياته التاريخية كتابة الشعر المسرحي وهو الشعر الذي يخلق الشخصية كما اتقنه في (هاملت) و (صاعا صاع) • الآن ، وهو في الذروة : يطبق هذا الاسلوب النبيل في المأساة ، انبل الاشكال المسرحية • لا توجد حاجة الى افتراض انه كان نفسه ، طوال السنوات القليلة اللاحقة ، تحت تأثير مزاج مأساوي • فليست بالانسان حاجة الى تبني مواضيع مأساوية لانه غير سعيد ، اذ كان فالستاف رد شكسبير على كارثة موت ابنه هامنيت ، بيد ان الشاعر المسرحي العظيم يلجأ الى تأليف المأساة اذا رغب في خلق الشكل الاسمى من الفن وكانت مسرحية (عطيل) الاولى في سلسلة مآس عظيمة توجت بمسرحية (انطوني وكليوباترا) بعد اربعة أعوام •

لا ريب ان الضغط كان شديدا حتى على بيربج الذي مثل الادوار المأساوية في مسرح (غلوب) • اما بالنسبة الى شكسبير فمن المحتم ان الضغط كاد لا يحتمل اذ انه عايش ، شهرا بعد آخر ، الادوار وعانى معاناة الشخوص الذين ابتكرهم اذ كان هذا التطابق الذاتي التام أحد الاسرار الرئيسة في فنه • عانى غيرة عطيل وجنون تيمون ولير وندم مكبث وكبرياء كوريولانس المخبولة ويأس انتوني •

استطاع الملك في آذار القيام بالجـولة الملكية في شوارع لندن بعد ان تأجلت طويلا واعطي شكسبير بوصفه احد أفراد الفرقة المسرحية الملكية زيه القرمزي ليتزيا به في تلك المناسبة • وسرعان ما دعي للتزيي به في مناسبة رسمية اخرى • فقد تفاوض اوغست سسيل لعقد الصلح مع اسبانيا وعهد اعضاء الفرقة مصاحبة السفير الاسباني فوق العادة في قصر سومرست • كان صلحا مشرفا وأنجح حدث سياسي في عهـد جيمز • انتهت الحـرب بين انكلترا واسبانيا التي استمرت عشرين عاما غير ان تلك الاعوام العشرين القلقة شهدت النهضة الادبية الاليزابيثية العظيمة وحفزتها •

لا عجب ان الاحتفالات في أعياد الميلاد في تلك السنة اتسمت بالبهجة ودامت عدة اسابيع من بداية تشرين الثاني الى نهاية شباط • لحسن الحظ حفظت لنـا حسابات مسؤول الاحتفالات في هذا الموسم (١٦٠٤ ــ ١٦٠٥)• كان بين المسرحيات الاحدى عشرة التي قدمتها فرقة الملكة سبع في الاقـل من تأليف شكسبير هي : (عطيل) و (زوجات وندزر المرحات) و (صاعا بصاع) و (ملهاة الاخطاء) و (جهد الحب الضائع) و (هنـري الخامس) و (تاجـر البندقية) التي مثلت مرتـين • وقدمت الفرقة ايضا عرضـين لمسرحيتين ألفهما جونسن •

كان جونسن يدعي انه من اصل اسكتلندي ولم يبطىء في استثمار هذا ولاسيما ان الملكة كانت تهوى العروض الباذخة • لـم تكن مسـرحية الاقنعة* في عهـد اليزابيث سوى عرض يتضمن ارتـداء الملابس التنكرية

---

* مسرحية الاقنعة Masque : عرض ترفيهي يؤديه ممثلون مقنعون على نحو فخم واسطوري يحفل بالمناظر الرائعة والملابس الزاهية ويتكون من نص شعري وموسيقى وغناء ورقص وحيل مسرحية وازدهرت في القـرن السابع عشر . (معجم المصطلحات المسرحية) • اعـداد سمير عبد الرحيم الجلبي ، دار المأمون ، ١٩٩٢ .

والرقص . الا ان جونسن طوره الى استعراض متقن ترافقه أفخم التأثيرات الصورية ويشترك في التمثيل . فضلا عن الملكة . كبار رجال البلاط وتتزين النساء بمجوهرات يزيد ثمنها على ايراد العاهل • ولتصميم الازياء والمناظر ساعد المعماري الشاب الصاعد انيغو جونز جونسن وبدأ تعاون هذين الرجلين العظيمين في الليلة الثانية عشرة من عام ١٦٠٥ عندما قدما (مسرحية السواد القناعية) وظهرت فيها الملكة ووصيفاتها بزي زنجيات • وفي السنوات القليلة اللاحقة عزز جونسن مركزه في البلاط بتأليف العروض الهامشية الجميلة في حين انشغل شكسبير بمآسيه الكبرى • ويحتمل انه ألف مسرحية (تيمون الاثيني) والجزء الاكبر من مسرحية (الملك لير) عام ١٦٠٥ •

اذا كان شكسبير موجودا في ستراتفورد في أوائل نيسان فلاريب انه حضر حفل زفاف روبرت هارفرد من سذرك (اوساوثورك) وكاثرين روجرز ، ابنة جاره توماس روجرز ، وحتى اذا لم يكن هناك فقد التقاهما حتما في منزلهما في بانكسايد حيث ولد ابنهما المشهور جون هارفرد بعد عامين* . وفي شهر ايار فقد شكسبير صديقا قديما هو اوغستن فيليبس ، احد الاعضاء الاصليين في فرقة تشيمبرلن • كان انسانا مخلصا وأوصى لمعظم زملائه بمبالغ منها ثلاثون شلنا ذهبا لشكسبير • ويبدو ان شكسبير كان في ستراتفورد في تموز حين استثمر ٤٤٠ باونا وهو مبلغ كبير جدا في شراء حقوق عُشر محصول الحقول المجاورة لضيعته في شمالي المدينة ** . التقى هناك جاره الجديد في كلوبتن هاوس الكاثوليكي الشاب الثري امبروز

---

* هاجر جون هارفرد الى امركا وتبرع بمبلغ ٧٨٠ باونا وزهاء ٣٠٠ كتاب الى الكلية التي أسست حديثا في مدينة كيمبرج بولاية ماساشوستس وسميت كلية هارفرد عام ١٦٣٩ تكريما له . (المترجم)

** عشر غلة الذرة والقش السنوية للحقل وكان يدفع ضريبة لمساعدة رجال الدين والكنيسة . (المترجم)

روكـود . ويحتمل انه كان مايزال في نيوبليس في بداية تشرين الثاني لان الطاعون انتشر في لنـدن مرة اخرى وأغلقت المسارح . ويحتمل ايضا انه شهد بعض الاهتياج في ٦ تشرين الثاني عنـدما أحبطت مؤامرة البـارود واعتقل غاي فوكس وهرب المتآمرون الآخرون الى معاقلهـم في ميدلاندز ومنها كاوبتن هاوس الذي أغار عليه رجال الشرطة . الا ان روكود كـان قد هرب وقبض عليه بعد يومين وشنق مع فوكس أمام مبنى البرلمان الذي حاولا نسفه .

مثلت فرقة الملك عشر مسرحيات في أعياد الميـلاد . ويمكننا تصور الملك جيمز بعد عرض احدى مسرحيات شكسبير التاريخية يقترح على المؤلف أن يجرب ، بعد أن ألف مسرحيات كثيرة عن تاريخ انكلترا ، تأليف مسرحية يستمد موضوعها من التاريخ الاسكتلندي ،عن احد اسلافه على سبيل المثال. وربما اضاف انه يتوقع زيارة من شقيق زوجتـه كريستيان الخامس ملك الدانمرك في الصيف . لامراء في ان تكون المسرحيات التي تقدمها فرقتـه جزءا مهما من التسلية ولا ريب ان كريستيان توقع مشاهدة عرض لمسرحية (هاملت أمير الدانمرك) . فان هذه المسرحية هي الاكثر ملاءمة والاكثر شهرة على حد سواء اذ كان يُستشهد بمقاطع منها في كل مكان في لندن وصُدّرت الى المانيا ومثلت في أقطار ماوراء البحار . فهم شكسبير الاشارة. وبعد ان أكمل مسرحية (الملك لير) (التي مثلت في البلاط في كانون الاول) تحول الـى التاريخ الاسكتلندي فـي (حـوليات) هولنشد وعثر فيها على قصة مكبث فشرع في تأليف المسرحية . ولسـوء الحظ ان الطاعـون سبـق كريستيان وأقيمت الاحتفالات خارج العاصمة فقدمت فرقة الملك أمـام العاهلين مسرحيتين كانت احداهما (هاملت) بلاريب ثم قدمت مسرحيـة (مكبث) بعد بضعة أيام في هامبتن كورت مما جعل جيمز يشعر بالرضـا الشـديد حتمـاً .

خدمت حوليات هولنشد المملة بلاشك شكسبير كثيرا ، غير انه لجأ في تأليف مأساتيه الى النثر البديع الذي استعمله سير توماس نورث في ترجمة كتاب بلوتارك (حيوات الاغريق والرومان النبلاء) وربما اكمل مسرحية (كوريولانس) وشرع في تأليف مسرحية (انتوني وكليوباترا) عندما تزوجت ابنته الكبرى التي اصبحت في الرابعة والعشرين بالطبيب جون هول في حزيران ١٦٠٧ . حظي هول بسمعة جيدة لا في ستراتفورد وحدها بل في انحاء المقاطعة وخارجها . وبعد أعوام بدأ بوضع كتاب تضمن ملاحظاته عن بعض الحالات المرضية ولقي تقديرا جيدا وترجم من اللغة اللاتينية التي كتب بها ونشر بعد عشرين عاماً من وفاته . وبحلول عام ١٦٠٧ اشترى هول بيتا مشيدا من الخشب والآجر قرب الكنيسة ووسعه ليضم قاعة فحص واسعة ومستوصفا وأقام به مع عروسه .

يسكن في نيوبليس الآن اثنان فقط طوال معظم السنة هما آن وجوديث، وبحث شكسبير عن آخرين ليعيشوا مع زوجته وابنته الصغيرة . كان كاتب البلدة الجديد توماس غرين أحد أقربائه البعيدين ومتزوجا وله طفلان ، أي العائلة التي يمكن ان تبعث الحيوية في البيت الكبير ، وقبل ان يعود شكسبير الى لندن رتب انتقال غرين وعائلته الى نيوبليس على ان يرحلوا حال اعتزال شكسبير العمل .

لم يكن شكسبير في عجلة من أمره فقد اغلق الطاعون المسارح مرة اخرى وكانت فرقته تقوم بجولة . الا انه عاد بحلول تشرين الثاني وكان في قصر وايتهول في ٢٨ كانون الاول عندما قدمت احدى المسرحيات . ربما كان هذا يوم وفاة شقيقه الصغير ادموند لانه دفن في كنيسة سنت سيفير على بعد ياردات قليلة من مسرح (غلوب) صباح ٣١ كانون الاول . ولا نعرف الفرقة المسرحية التي انضم اليها ادموند وربما كان ممثلا أجيرا في فرقة الملك ينتظر فرصة حدوث شاغر بين حملة أسهم الفرقة الا اننا نكاد

نجزم أن شقيقه ويليم هو الذي دفع نفقات الجنـازة الكثيرة التي انطوت على قرع الجرس الضخم .

بعد بضعة أشهر فقد شكسبير أمه التي يحتمل انها انتقلت لتعيش في نيوبليس اثر وفاة زوجها ، ولكن يحتمل انها بقيت في المسكن الواقـع في شارع هنلي مع جون وحفيديها الصغيرين . اصبح البيت ملكاً لشكسبير وقد أجره لشقيقته وزوجها لقاء مبلغ رمزي وربما انتقل ايضا شقيقاه غير المتزوجين الى نصف البيت الشرقي حيث واصلا عمل الاب . كان ما هو أهم عند شكسبير من فقد أمه ولادة حيدة . ففي شباط ولدت سوزانا ابنة.

رافقت ولادة اليزابيث هول عام ١٦٠٨ أحداث مهمة في شؤون فرقة الملك . واجهت (فرقة الاحتفالات) مشكلات ، وفي آب سلم مديرها بنايـة بلاكفرايرز الى صاحبيها الاخوين بيربج اللذين أسسا شركـة من سبعة مساهمين بينهم شكسبير وهمنغ وكوندل . اصبح للفرقة الآن مسرح آخر في الجانب الآخر من النهر اتخذته مقرا لها في الشتاء . وكانت لذلك أهمية كبـيرة اذ هي أول فرقة من الممثلين البالغين تمثل في مسرح مسقف صـغير وانطوى ذلك بلا شك على تحول في اسلوب التمثيل وفي نـوع المسرحيـة ايضا . كان مسرح (غلوب) مكشوفا وباردا ويهب عليه تيار هوائي . أمـا مســرح بلاكفرايرز فكان مريحا منعزلا لا يتسع لاكثر من مئتي أو ثلاثمئة مشاهد كلهم جلوس . ويمثل جمهور مسرح (غلوب) فضلا عن ذلك مختلف فئات المجتمع من رجل البلاط الى سائق عربة النقل ، غير ان الاثرياء والافضل تعليما وحدهم كانوا يستطيعون دفـع ثمن دخـول مسرح بلاكفرايرز . نشأت الحاجة الى مسرحيات أقل حجماً من مآسي شكسبير الضخمة وكلفت فرقـة الملك كاتبين مسرحيين شابين ألفـا مسرحيات لفرقـة الاطفـال في بلاكفرايرز من قبل . وهكذا بدأ التعاون المشهور بين بومونت وفليتشر في سلسلة المسرحيات العاطفية الرقيقة التي تدور أحداثها في القصور الملكيـة

ولاتشبه الحياة الحقيقية . كانت تلك بداية انحطاط الدراما الاليزابيثية الراسخة التي نشأت في المسارح المكشوفة .

بدأ شكسبير أيضا يؤلف لمسرح بلاكفرايرز . وبعد ان أوصل فن كتابة المأساة الى مرتبة الكمال في مسرحية (انتوني وكليوبترا) تحول مرة اخرى الى المواضيع العاطفية وان كانت أكثر رزانة وغنائية في المعالجة من ملاهيه في الحقبة الوسطية وألف بحلول تشرين الثاني مسرحية (بريكليز) التي تروي قصة مارينا المولودة في البحر .

ومن المؤكد ان حفيدته أوحت بتلك المسرحية وبمسرحياته الثلاث الاخيرة اذ ان الفكرة الاساسية هي مصير بطلاته الشابات ايموغن وبرديتا وميراندا . وبعد ضغط تقضية مآسٍ على مدى أربعة أعوام لا غرو ان تخفيف التوتر كان عذبا حقا .

لعل لنشر مسرحية (الملك لير) عام ١٦٠٨ ثم نشر مسرحيتي (بريكليز) و (ترويلوس وكريسيدا) عام ١٦٠٩ صلة بجمع المال لمشروع مسرح بلاكفرايرز على الرغم من ان نصي المسرحيتين الأوليين رديئان على نحو يكفي للاعتقاد انهما مسروقتان . كما ان السونيتات التي صدرت أخيرا عام ١٦٠٩ ربما صدرت بلا اذن من شكسبير . كانت تلك آخر مؤلفات شكسبير التي نشرت في حياته وان استمرت النسخ على الصدور في طبعات جديدة وتأكدت شعبيته بالمسرحيات التي تحمل اسمه وأصدرها اصحاب مطابع غير أمناء همهم كسب المال . نشرت عام ١٦٠٨ ، على سبيل المثال، مسرحية (مأساة في يوركشير) التي « ألفها شكسبير » وقدمتها فرقة الملك .

يحتمل ان شكسبير قضى معظم عام ١٦٠٩ في نيو بليس اذ أدى الطاعون الى اغلاق المسارح معظم السنة . ارغمه تكرار انتشار الطاعون في لندن كل عام بلاريب على التفكير في اعتزال العمل والعودة الى ستراتفورد

الا انه قرر الانتظار عاما آخر ، وفي أيلول كتب توماس غرين « انه يستطيع المكوث في نيوبليس عاما آخر » . لم يكن عام ١٦١٠ أفضل كثيرا وازداد عدد ضحايا الطاعون في نهاية حزيران وأغلقت المسارح مرة اخرى وانطلق الممثلون في جولة في الاقاليم وتخلى شكسبير ، وكان عمره انذاك ستة وأربعين عاما ، عن اقامته بلندن ورحل الى ستراتفورد حيث أكمل مسرحية (حكاية الشتاء) .

من المفارقات ان الطاعون انحسر بعد انتقال شكسبير بقليل ولم يظهر في لندن مرة اخرى في حياته ، ولذا يحتمل انه قضى في السنة او السنتين اللاحقتين ما اعتاده من وقت مع فرقته . وربما كان معها عندما انتقلت الى الجانب الآخر من النهر من مسرح بلاكفرايرز الى مسرح غلوب في نيسان وقدمت مسرحية (مكبث) و (حكاية الشتاء) و (سمبلين) . شاهد هذه المسرحيات جميعا الطبيب والفلكي سيمون فورمان ووضع ملاحظات عنها في (كتاب المسرحيات) الذي ألفه . والمؤسف انها ليست سوى خلاصات حبكات ويبدو ان الطبيب في مسرحية (مكبث) شخصيته المفضلة . غير انه لو كتب وصفا للعروض وكيف مثل بيربج مكبث وليونتس لاحرز بسهولة الشهرة التي كان يتعطش اليها دون اللجوء يائسا الى الانتحار بعد بضعة أسابيع في اليوم الذي تنبأ به موعدا لموته .

كان شكسبير قد قرأ تقارير تصف تحطم سفينة سير جورج سومرز عند جزر برمودا ، ويحتمل انه تحدث الى بعض الناجين . اثرت القصة فيه تأثيرا غريبا لان العواصف وتحطم السفن شغلته في ذلك الوقت وألف في عام ١٦١١ مسرحيته الاخيرة (العاصفة) . وليس ثمة شك في انه كان في قصر وايتهول حين عرضت المسرحية في الاول من تشرين الثاني عند بدء احتفالات عيد الميلاد وقدمت بعدها مسرحية (حكاية الشتاء) وبلغ مجموع

المسرحيات التي مثلتها فرقة الملك اثنتين وعشرين في ذلك الموسم الذي امتد الى نهاية نيســان .

مكث شكسبير في لندن زمناً أطول . لم يكن هناك بديل لانه استدعي شاهدا في قضية رفعها ستيفن بيلوت على حماه الذي عجز عن تقديم المهر الذي وعده به عندما زوجه ابنته . وفي ١١ أيار ١٦١٢ استجوب محـ « ويليم شكسبير من ستراتفورد ابون ايفن ، السيد البالغ من العمر ٤٨ عاما أو نحوها » . كان يعرف آل ماونتجوي قرابة عشرة أعوام وساعد علـى اقنـاع ستيفن « المستخدم الممتاز والجـاد في العمل » بالزواج بـسيري . كان ماونتجوي قد وعد حقاً بتقديم مهر غير ان شكسبير نسي كم كان المبلغ ولم يتذكر أي شيء يتعلق بميراث موعود . لم تكن شهادة شكسبير مفيدة غير انه لم يكن هناك سبب يدعوه الى أن يتذكر تفاصيل كهذه مرت عليهـ ثمانية أعوام ، وبعد ان وقع شهادته رحل الى ستراتفورد اذ كان عليـه أن يؤدي عمـله .

كان اعتزاله العمل ، او مايشبه هذا كارثـة على فرقة الملك لولا وجـود بومونت وفليتشر اللذين أمـدا الفرقة بمسرحيات جديدة سرعان ما اصبحت رائجة كمسرحيات شكسبير . ولـذا عندما تـزوج بومونت وريثة وانسحب من العمل المسرحي واجهت الفرقة أزمة . كان فليتشر يحتاج الى من يساعده وناشدت الفرقة شكـسبير ان يعمل معه حتى يجد مؤلفا آخر بين الكتـاب الشباب . لم يكن عملا شاقا اذ يكفي ان يقدم الافكار والشخصيات ويأخذ فليتشر ما تبقى على عاتقه . وافق شكسبير وشرع في وضع مخطط لمسرحية (كاردنيو) التي فقدت على الرغم من انها مثلت في احتفالات الميـلاد في ١٦١٢ ــ ١٦١٣ . وأقيمت أروع الاحتفالات بمناسبة زواج اليزابيث ابنة الملك جيمز بالنبيل بالاتين ولاشك في ان شكسبير كان موجودا يشرف على عرض مسرحية (العاصفة) و (يوليوس قيصر) و (جعجعة بلا طحن)

و (عطيل) و (حكاية الشتاء) وجزأي مسرحية (هنري الرابع) . مثت (العاصفة) حتماً عشية الزفاف ويمكن ان نتصور شكسبير يمثل آخر مرة تلك الليلة دور بروسبيرو يبارك العروسين الصغيرين الحسن ويتمنى لهما السعادة التي سرعان ما ضاعت منهما .

أفسد الاحتفالات موت هنري ، أمير ويلز ، الشاب الواعد فجأة بيد انها استؤنفت بعد توقفها . وفي آذار ، قبل اختتام الاحتفالات ، اشترى شكسبير الدار المشيدة عند بوابة دير بلاكفرايرز قرب المسرح وحصل على جزء من المبلغ عن طريق الرهن وقد ساعده على تنفيذ المعاملة صديقاه جون همنغ ووليم جونسن ، صاحب حانة ميرميد . وكان شكسبير وجونسن وفليتشر ودون ومثقفون آخرون قد تعودوا الالتقاء في حانة ميرميد قرب كاتدرائية سنت بول وتناول العشاء في يوم الجمعة الاول من كل شهر وكانت الكلمات فيها بارعة وحافلة بوهج ينم على حدة الذهن . واشترك بعد بضعة أيام مع صديق قديم آخر هو دِك بيربج في أمر مختلف جدا تمثل بتصميم وصنع ختم للدوق روتلاند يثبت على درع يحمله مرافقه قبل شن هجوم . كان بيربج ، كما نعلم ، رساما هاويا ويبدو ان شكسبير ايضا كان رساما هاوياً .

رحل النبيل بالاتنين والبزابيث الى المانيا في نيسان وغادرت الحاشية لندن غير ان شكسبير بقي في العاصمة على الارجح . كان فليتشر قد أكمل مؤخرا مسرحية (هنري الثامن) التي كتب شكسبير نصفها وسرعان ما عرضت على مسرح (غلوب) . الا أنه كان قد عاد الى ستراتفورد قبل ان يحترق المسرح كله في يوم الثلاثاء ٢٩ حزيران في اثناء عرض المسرحية . أدى اطلاق النار من بندقية عند دخول الملك هنري الى شبوب النار واحتراق أخشاب الشرفات . نجا أفراد الجمهور بمعجزة ، « لم يحترق سوى بنطلون رجل واحد وكاد يحترق لو لم يسعفه رجل بارع بقنينة جعة » .

وقيل لنا « لم يتلف شيء سوى الخشب والقش وبضع عباءات متروكة » . أنقذت على نحو ما مجموعة المسرحيات التي تمتلكها الفرقة في المسرح وأنقذت معها مخطوطات مسرحيات شكسبير . وتحمل اصحاب الفرقة كلفة اعادة بناء المسرح وربما تنازل شكسبير عن حصته لعضو آخر أنشط منه .

قضى شكسبير معظم وقته فيمابعد في ستراتفورد . كان غلبرت وريتشارد قد توفيا في العام السابق . وأُجِّرت ورشة أبيه القديمة وحولت الى حانة عرفت باسم (سوان وميد نهيد) واصبحت جون وعائلتها التي ضمت ثلاثة أولاد تمتلك البيت في شارع هنلي . لم يكن هناك صبيان في بيت هول أي لا أحفاد . كانت اليزابيث الابنة الوحيدة لسوزانا التي اضطر شكسبير الى مساعدتها على تبرئة سمعتها من تهمة كاذبة بعد قليل من عودته من لندن . كان بعض اصدقائه القدامى ومنهم ريتشارد كويني قد فارقوا الحياة وان بقي اصدقاء آخرون منهم ، على سبيل المثال ، هنري ووكر الذي كان شكسبير عراب ابنه الاصغر ، وجاراه هامنيت وجوديث سادلر ، وهما جدا أبنائه ، وكان جولين شو يقطن في البيت الذي يلي نيو بليس . وعاش الاخوان جون وانتوني ناش في اولد ستراتفورد وكان سير هنري رينزفورد في كليفورد تشيمبرز في الجانب الآخر من النهر ويمكث مايكل دريتن معه احيانا . وعاش توماس رسل في مكان غير بعيد في عزبة بالدمنستر . وهناك ايضا العزب والمرابي الثري جون كومب الذي توفي في تموز ١٦١٤ بعد يوم واحد من الحريق الكبير الثالث الذي نشب في المدينة ودفن قرب المذبح في الكنيسة . وقد أوصى بخمسة باونات لشكسبير الذي يحتمل أنه أوكل الى النحات والبناء جيرارد جونسن من بانكسايد بناء قبره ونحت تمثال له .

اشترك شكسبير في ذلك الوقت في مشروع تسييج الحقول المفتوحة المحاذية لضيعته • وعلى الرغم من انه لم يكن احد الذين دعوا الى تنفيذ المشروع فيحتمل انه استفاد منه بوصفه أحد اصحاب حقوق العشر في غلة الحقول • بيد ان موقفه غير مؤكد ويكمن الامر المثير في الاختلاف في الملاحظات التي دونها توماس غرين ، كاتب المدينة ، الذي اوكلت اليه سلطة المدينة منع تسييج الحقول • وربما توجه شكسبير الى لندن في الربيع ليحضر تدشين مسرح (غلوب) الجديد بعد اعادة بنائه ، « على وفق طراز أجمل من ذي قبل » واصبح للشرفات سقف مرصوف بالآجر بدلا من القش، لانه أراد حتما ان يعرف ما فعل فيلتشر باسهامه في مسرحية (القريبان النبيلان) ويبدو ان فليتشر لم يفعل الكثير • وكان شكسبير في لندن في تشرين الثاني بلاشك مع جون هول حين زاره غرين ، الذي جاء به الى لندن بشأن يتعلق بتسييج الحقول ، لكي « يتفقد أحواله » ويستفسر عن سير الامور في ستراتفورد • وأكد له « ابن العم شكسبير » انهم « على الرغم من عزمهم على مسح الارض في نيسان ••• فلم يكن هنالك شيء آخر يفعلونه » • كان مصيبا وان استمر الخلاف وأضاف غرين بعد نحو عام واحد في أيلول ١٦١٥ ملاحظة في مفكرته : « أبلغ و•شكسبير ج•غرين (شقيق توماس) قائلا انني لا استطيع تحمل تسييج ويلكومب » • وهذه آخر اشارة مدونة عن شكسبير قبل ان يضع وصيته بعد بضعة شهور •

عندما زار لندن في نهاية عام ١٦١٤ التقى حتما بن جونسن وعلم بمشروعه في نشر مؤلفاته وجعله ذلك يفكر حتما في ان يحذو حذوه اذ ان فليتشر عثر على معاونين جدد ولم تعد بفرقة الملك حاجة ملحة الى مساعدته• كيف يستطيع استخدام وقت فراغه الذي سعى اليه طويلا على نحو أفضل في اعداد مؤلفاته للطبع ؟ لقد كان حقا مهملا جدا في نشر مسرحياته ، بل أن نصفها لم ينشر وبعضها لم يكن صالحا للطبع كما ان النصوص المطبوعة

لكثير من المسرحيات الباقية كانت غير دقيقة ولم تصدر طبعة دقيقة بدلا من النسخ المشوهة المسروقة . كان أمامه عمل كثير في العام أو العامين اللاحقين ويمكن ان نتصوره عام ١٦١٥ ينقح ويعيد كتابة بعض مخطوطات مسرحياته . وكانت مخطوطة مسرحيته (خير ما انتهى بخير) على سبيل المثال في مكتبته في نيوبليس .

كانت الاستعدادات على قدم وساق في بداية عام ١٦١٦ لزواج جوديث وتوماس كويني ، ابن صديقه القديم ريتشارد . وفي كانون الثاني و « كان في صحة ممتازة » طلب شكسبير من فرانسز كولنز المحامي من ورك أن يضع وصية في مصلحة ابنتيه . وبعد أسابيع قليلة من الزفاف الذي تم في ١٠ شباط ، مرض مرضا شديدا . وعلى وفق رواية وصية « التقى شكسبير درايتن وبن جونسن التقاء مرحا ويبدو انه أفرط في تناول الشراب لانه مات اثر حمى أصيب بها هناك » . وربما جاء درايتن الى كلفورد تشيمبرز في بداية العام ، على الرغم من ان جونسن كان مشغولا جدا ، في اغلب الظن ، بالاعداد لمسرحياته القناعية وعروضه في وايتهول . ولعل اللقاء المرح ، اذا كان قد تم حقا ، جرى في لندن احتفاءا بنشر مجموعة مؤلفات جونسن واذا كان شكسبير قد مرض هناك فمن المؤكد ان حالته كانت سيئة حين وصل الى ستراتفورد بعد رحلة تسعين ميلا في جو آذار البارد . ولكن مهما حدث فقد أرسل في طلب كولنز وبعد ان نقح وصيته وقعها في ٢٥ آذار . منح آن نصيب الارملة من الارث ولم يذكرها الا بالعبارة الشهيرة « أوصي لزوجتي بثاني أحسن سرير أمتلكه » . وهو السرير الذي كان يحتضر عليه . وأوصى لابنته جوديث بمائتة كبيرة ولجون بعشرين باونا وبملابسه كافة — لا بد انها ستنفع أبناءها — وبالمسكن في شارع هنلي مدى الحياة . وأوصى ، عدا استثناءات قليلة ، ببقية ضيعته لابنته سوازنا وورثتها من الذكور ان وجدوا ،حطم موت هامنيت خطته

في تأسيس عائلة غير ان ابناء سوزانا سيصبحون منحدرين من سلالته في الاقل . كان أملا عقيما اذ لم يكن لسوزانا من الابناء سوى ابنة واحدة هي اليزابيث .. وعلى الرغم من انها تزوجت مرتين فانها لم تنجب ومات ابناء جوديث جميعا وهم صغار ولم يبق سوى نسل جون وهارت . وكان بين من أوصى لهم « رفيقاه جون همنج ريتشارد بيربج وهنري كندل » اذ أوصى لكل منهما بستة وعشرين شلنا وثمانية بنسات « لشـــراء خاتميـــن لهمـــا » . وهما الوحيدان الباقيان من مؤسسي فرقة تشيمبرلن قبل عشرين عاما .

كان شقيق زوجته يحتضر في بيت شارع هنلي ودفن « ول هارت . صانع القبعات » في ١٧ نيسان . ويعتقد ان الطبيب هــول عني بكليهما واستطاع أن يشفي مايكل دريتن « الشاعر الممتاز » من حمى الا أنه لــم يستطع انقاذ حياة الشاعر الأكثر براعة اذ مات شكسبير بعد اسبوع واحد من تشييع زوج جون وربما حدث ذلك في عيـــد ميلاده الثاني والخمسين . وفي ٢٥ نيسان نقل جثمانه من بيته في نيوبليس ومر الموكب امام كنيسة غلد والمدرسة الثانوية القديمة في ذات الطريق الــى الكنيسة الذي حمل فيه يــوم تعميده قبل اثنين وخمسين عاما ودفن قبالة المذبح . وعهد الى جيرارد جونسن صنع النصب الذي تقرر أن يقام على الجدار المطل على قبره .

انجـــازات شكسبير

ماذا ؟ تي وما سبب الضجة التي لازمت فتى من الاقاليم حقق نجاحا في المسرح ؟ جاء الجواب بعد سبعة أعوام عندما أكمل همنغ وكوندل العمل الذي عهد به شكسبير اليهما وهو تحرير مسرحياته ونشرها في مجلد واحد. ولولا جهدهما لتلف نصفها ومنهـا (الليلة الثانية عشرة) و (مكبث) و (انتوني وكليوباترا) و (العاصفة) ولما بقي لنا من مسرحية (هنري الخامس) وثلاث مسرحيات اخرى سوى النسخ المشوهة الرديئة القديمة. غير ان أصدقاء شكسبير أخرجوا المخطوطات الثمينة من مخزن فرقة الملك وبعضها مخطوطات شكسبير الاصلية والاخرى نسخ جيدة وطبعت المسرحيات غير المنشورة بالاعتماد على هذه فضلا عن النسخ المشبوهـة والمسروقة . وطبعت المسرحيات الباقية من نسخها بعد تصحيحها بالرجوع الى المخطوطات. وهكذا بقيت ست وثلاثون مسرحية تعد أعظم انجاز ابداعي لانسان . انه ادعاء كبير حقا .

لايوجـد بين شعراء العالم سوى واحـد او اثنين في منزلة شكسبير . أتهوى القصيدة الغنائية ؟ هناك الاغنيات من مثـل (من هي سلفيـا ؟) في مسرحية (السيدان من فيرونا) و (عمق خمس قامات كاملة) في مسرحية

(العاصفة) : أم أنك تهوى السونيتات ؟ هناك مئة وخمسون سونيته يمكن ان يختار المرء منها ما يشاء :

ابيوم من ايـام الصيف اشبهك ؟
لاكثر جمـالا انت واشـد اعتـدالا .
فالرياح العتيـة تجني على براعـم ايـار الحبيبـة .
وعقـد الصيف ما اقصر أجـله !

أو السونيتة الآتيـة :

حين أرى الاشجار السوامق جرداء من أوراقهـا ،
وكانت من قبـل تظلل القطعـان من القيظ ،
وارى خضرة الصيف قـد ضرمت اغمارا كلها ،
محمولة على نعشها بيض اللحى شعثاءهـا ،
عندما يأخذني التساؤل عن جمالك
وانك مع نفايات الزمـن لا بـد يوماً ذاهب ...

الشعر السامي نفسه هو مادة المسرحيات الغنائية المبكرة :

كانت تلك هي القبرة ، بشيرة الصباح
لا العنـدليب : انظـري ، حبيبتي ، أي خطـوط
ملؤهـا الغـيرة ، توشي الغيـوم المتفارقـة
في مطلع الشرق ، هنـاك :
شموع الليـل قـد احترقت ونفدت ، والنهـار المـرح
يقف على رؤوس اصابعه على قمة الجبـل
المغمـور بالضبـاب .

وعاد شكسبير في مسرحياته الرومانتيكية الاخيرة الى ذات النزعة الغنائية وان كانت أكثر تعقيدا وتألقا :

... والنرجس الذي يأتي
قبل ان يجرؤ السنونو على المجيء
ويخطف أنسام آذار بجماله ؛
والبنفسج الأدكن لكنه
أحلى من أجفان الالهة جونو
أو أنفاس ربة الحب سايشيريا .

كان شكسبير بلاريب صانعا لم يبدع الشعر وحده بل الشخصيات أيضا وهنا لم يضاهه أي شاعر آخر . لم يبتكر أي مؤلف آخر مجموعة يمكن أن تقارن بمجموعته من النساء والرجال التي تضم المتواضعين والمتكبرين ، الجادين والمرحين ، الهازلين والمأساويين ، النبلاء والوضعاء ، لونس ، بوتم ، دوغبري ، بستل ، اوتوليكوس ، مربية جوليت ، السيدة كويكلي ، فالستاف ، تاتشستن ، جاك ، فيست ، مالفوليو ، بيروليز ، بندك ، جوليا ، بياتريس ، روزالند ، فيولا ، هيلنا ، مارينا ، ايموغن ، برديتا . ميراندا ؛ ريتشارد الثاني ، ، ريتشارد الثالث ، الملك جون ، هنري الخامس ، هوتسبر ، بروتس ، هاملت ، عطيل ، اياغو ، لير ، مكبث ، جوليت ، دزديمونا ، كورديليا ، فولمنيا ، ليدي مكبث ، كليوباترا ــ وقد تطول القائمة الى ما لا نهاية . الامر الرائع هو انها ليست سوى كلمات والشعر هو الذي يبعث الحياة فيها . ها هي كلمات جولييت :

تعال ايها الليل الكريم ، تعال
ايها الليل المدنف ، اسود الجبين ،
واعطني حبيبي روميو . وعندما يموت ،
خذه وقطعه انجماً صغيرة
فيجعل وجه السماء جميلا ، حتى
ان الدنيا جميعاً ستعشق الليل .

وهذه كلمات هاملت :

آه يا هوراشيو الكريم ، مجرحاً سيظل اسمي بعدي
ان بقيت الأمور هكذا مجهولة
فان كنت احتويتني يوما في قلبك
غيب النفس عن هناءتها ردحا
وفي عالم الجور هذا استل انفاسك الماً
لتروي قصتي

والكلمات الآتية على لسان كليوباترا :

آه أيتها النسوة ، انظرن هنا :
تاج الارض الآن يذوب ... سيدي !
آه لقد ذبل اكليل الوغى ،
وعمود الجندي قد سقط . والفتيان والفتيات
استووا جميعاً مع الرجال . اما التميز فقد قضى ،
ولم يبق ما يدهش البصر
في ضوء القمر الذي يزورنا .

بيد ان شكسبير يتمثل حقا في الابيات الاتية التي تمنحنا احدى صوره النادرة في مسرحياته :

حفلتنا هذه الآن انقضت ... ممثلونا هؤلاء ،
كمـا انبأتك سابقاً ، كانوا ارواحاً كلهـم
وتلاشوا هـواء ونسـمات ،

وكما النسيج الذي لا اساس لـه من هـذه الرؤيـا ،
هكذا لسوف تضمحل الابراج المعممة بالغيـوم ،
والقصـور الفخمـة ، والهياكـل المهيبـة ،
وكـرة الارض العظيمة نفسـها ،
اجـل وكـل ما عليهـا ،
وكهـذا المهـرجان الموهـوم الذي تلاش ،
لـن تخلف هباءة واحدة وراءها . انما نحـن مـادة
كالتي تصنع الاحـلام منهـا ، وحياتنـا الضـئيلة
تحدهـا نومـة من طرفيهـا ...

على الرغم من ان شكسبـير يبعث الحـيرة الشديدة في النفس لأن روحه المتقلبة جدا المتنقلة من شخص الى آخر من شخوصه تنفذ في مسرحياته ونقرأها لا من أجل الشعر والشخوص الذين نلتقيهم فيها حسب ، بل من اجل شكسبير نفسه ايضا . هذا ما يجعلنا نستمتع بها . اننا نقرأها بسبب حكمته البديعة واضاءته الساطعة للحياة ومرحه وفطنته ورجاحة عقـله . كان انساناً عادياً تناسقت قدراته المتنوعة على نحو تام . ونقـرأ مؤلفات شكسبير لأنه انسان نرغب جميعاً في أن نتخذه صديقاً .

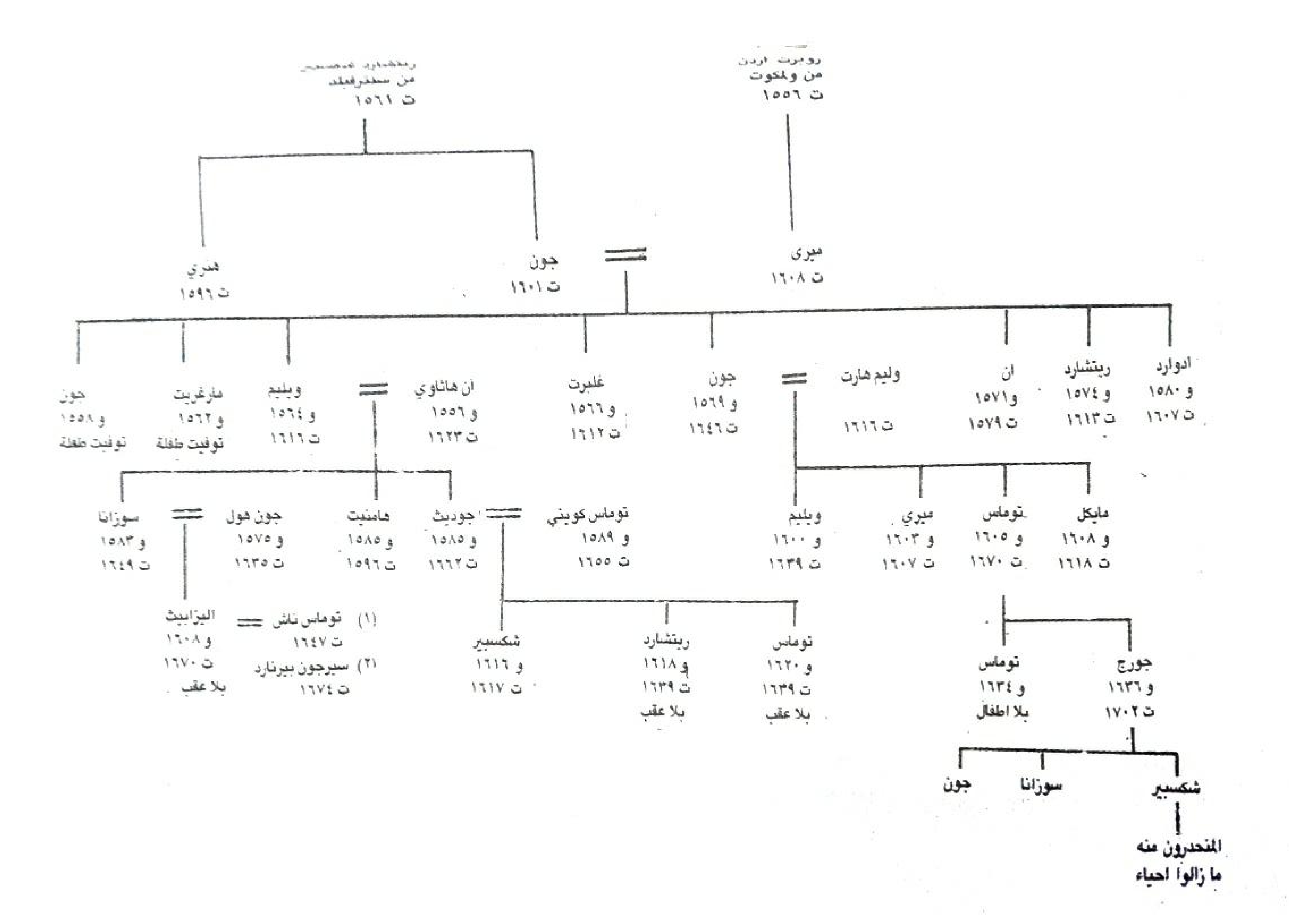
المؤلـــف

درس ف. أ. هاليدي في جامعة كيمبرج ودرّس سنوات كثيرة في كلية تشيلتنهام حيث ترأس قسم اللغة الانكليزية . انتقل بعد الحرب العالمية الثانية الى سبنت ايف في كورنال ليكرس وقته للتأليف غير انه اشـتهر بكتبه في شكسبير ومنها :

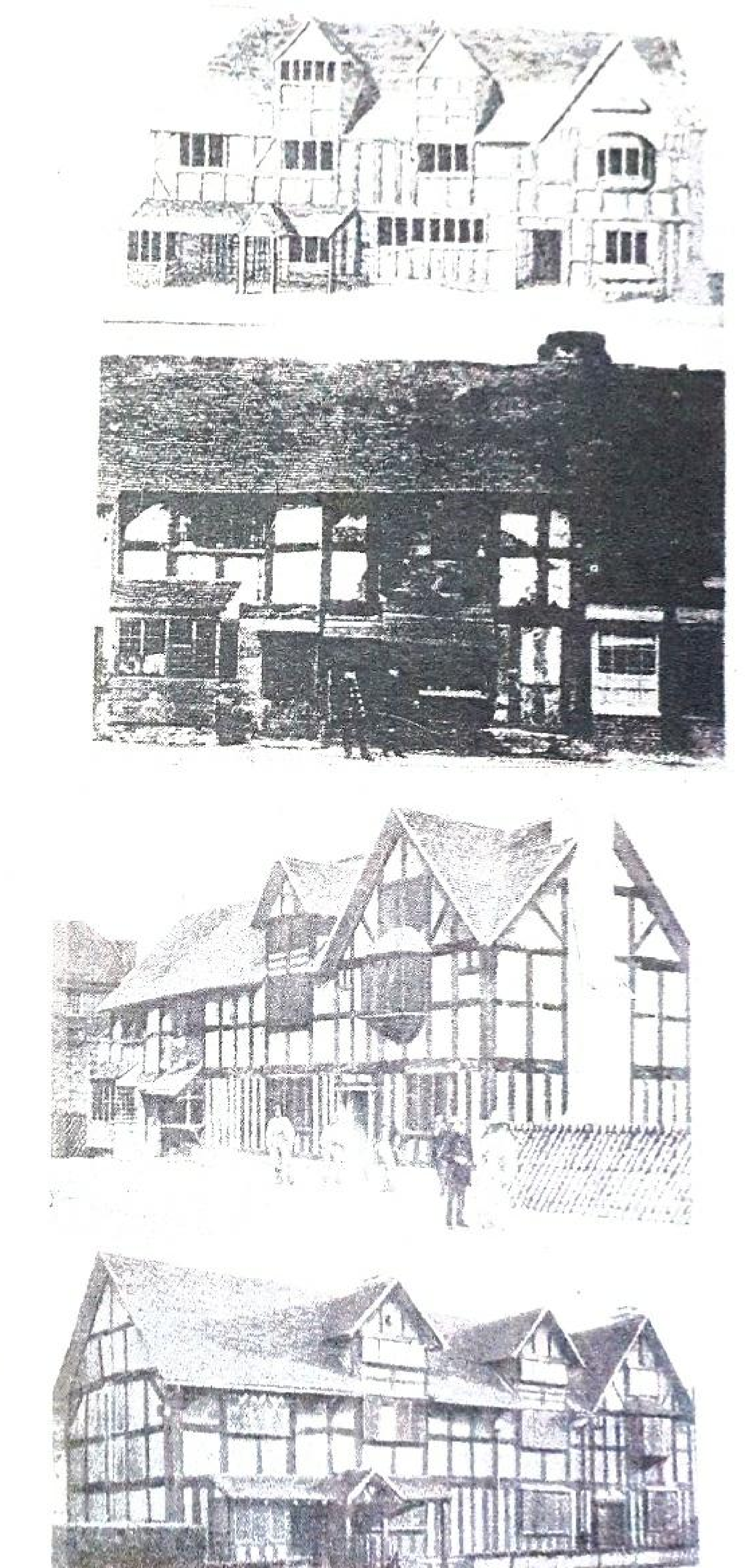
- A Shakespeare Companion 1564-1964, Perguin Reference Books, 1964
- Shakespeare and His Critics
- The Poetry of Shakespeare's Plays
  The Cult of Shakespeare
  The Life of Shakespeare

ملحق يضم مجموعة من الصور تؤرخ حياة شكسبير

فـــي مراحـــل مختلفـــة



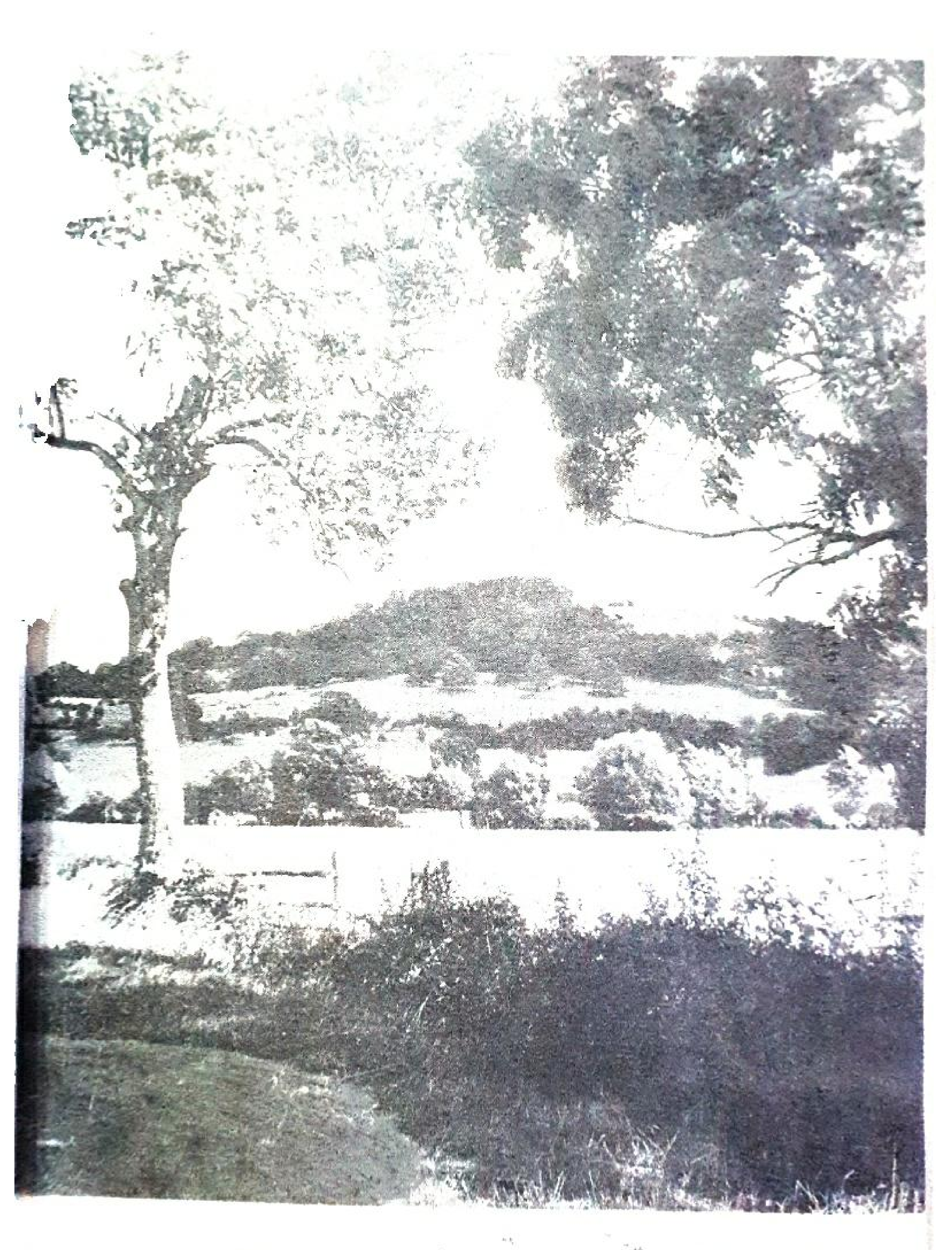
من سنترفيلد
ت ١٥٦١
روبرت اردن
من ولمكوت
ت ١٥٥٦
هنري
ت ١٥٩٦
جون
ت ١٦٠١
ميري
ت ١٦٠٨
جون
و ١٥٥٨
توفيت طفلة
مارغريت
و ١٥٦٢
توفيت طفلة
وبليم
و ١٥٦٤
ت ١٦١٦
ان هاثاوي
و ١٥٥٦
ت ١٦٢٣
غلبرت
و ١٥٦٦
ت ١٦١٢
جون
و ١٥٦٩
ت ١٦٤٦
وليم هارت
ت ١٦١٦
ان
و ١٥٧١
ت ١٥٧٩
ريتشارد
و ١٥٧٤
ت ١٦١٣
ادوارد
و ١٥٨٠
ت ١٦٠٧
سوزانا
و ١٥٨٣
ت ١٦٤٩
جون هول
و ١٥٧٥
ت ١٦٣٥
هامنيت
و ١٥٨٥
ت ١٥٩٦
جوديث
و ١٥٨٥
ت ١٦٦٢
توماس كويني
و ١٥٨٩
ت ١٦٥٥
وبليم
و ١٦٠٠
ت ١٦٣٩
ميري
و ١٦٠٣
ت ١٦٠٧
توماس
و ١٦٠٥
ت ١٦٧٠
مايكل
و ١٦٠٨
ت ١٦١٨
اليزابيث
و ١٦٠٨
ت ١٦٧٠
بلا عقب
(١) توماس ناش
ت ١٦٤٧
(٢) سيرجون بيرنارد
ت ١٦٧٤
شكسبير
و ١٦١٦
ت ١٦١٧
ريتشارد
و ١٦١٨
ت ١٦٣٩
بلا عقب
توماس
و ١٦٢٠
ت ١٦٣٩
بلا عقب
توماس
و ١٦٣٤
بلا اطفال
جورج
و ١٦٣٦
ت ١٧٠٢
جون
سوزانا
شكسبير
المنحدرون منه
ما زالوا احياء



مسقط رأس شكسبير
اول منظر معروف ١٧٦٩
قبل الترميم ١٨٤٧
في اثناء الترميم ١٨٥٧
ما هو في الوقت الحاضر



ستراتفورد ابون ايفن - الطريق المرتبط دوما بشكسبير من مسقط راسه الى الكنيسة



كوتسولدز قرب ستراتفورد، وكان شكسبير يزورها مراراً مع اشخاص مسرحياته

... الذي تعلم فيه شكسبير اللغة اللاتينية

كانت مسرحيات المعجزات ما تزال تمثل عندما كان شكسبير صبيا

تسلية الملكة اليزابيث التي اشار اليها شكسبير في (حلم ليلة صيف)

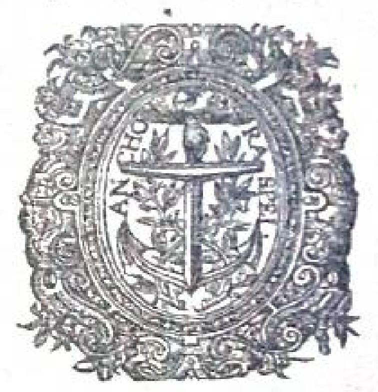


سير فيليب سيدني الذي قتل عام ١٥٨٦. والهمت سونيتاته شكسبير

VENVS

AND ADONIS

Vilia miretur vulgus: mihi flauus Apollo
Pocula Castalia plena ministret aqua.



LONDON

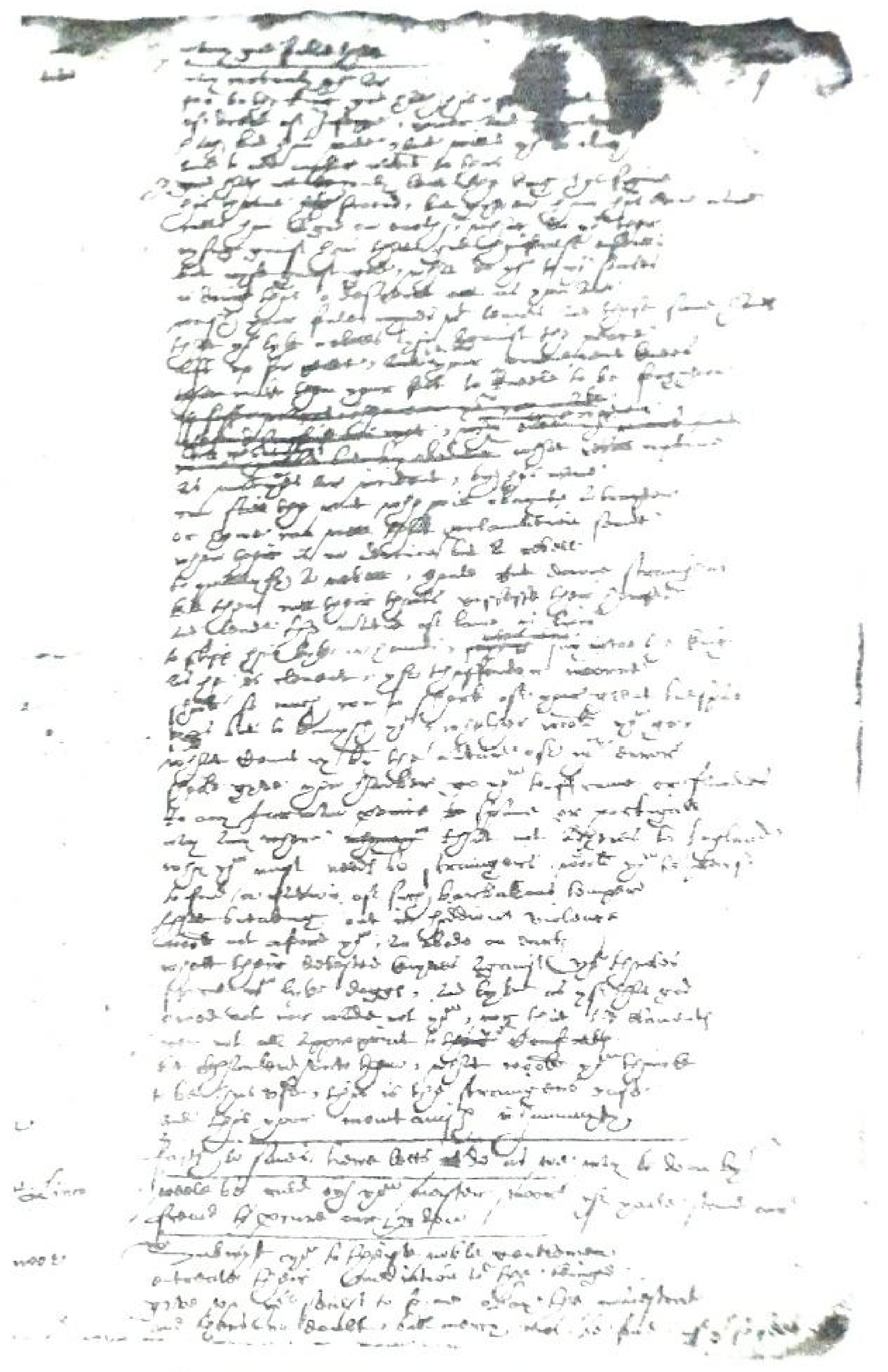
Imprinted by Richard Field, and are to be sold at the signe of the white Greyhound in Paules Church-yard.

1593.

اول مسرحية نشرت لشكسبير

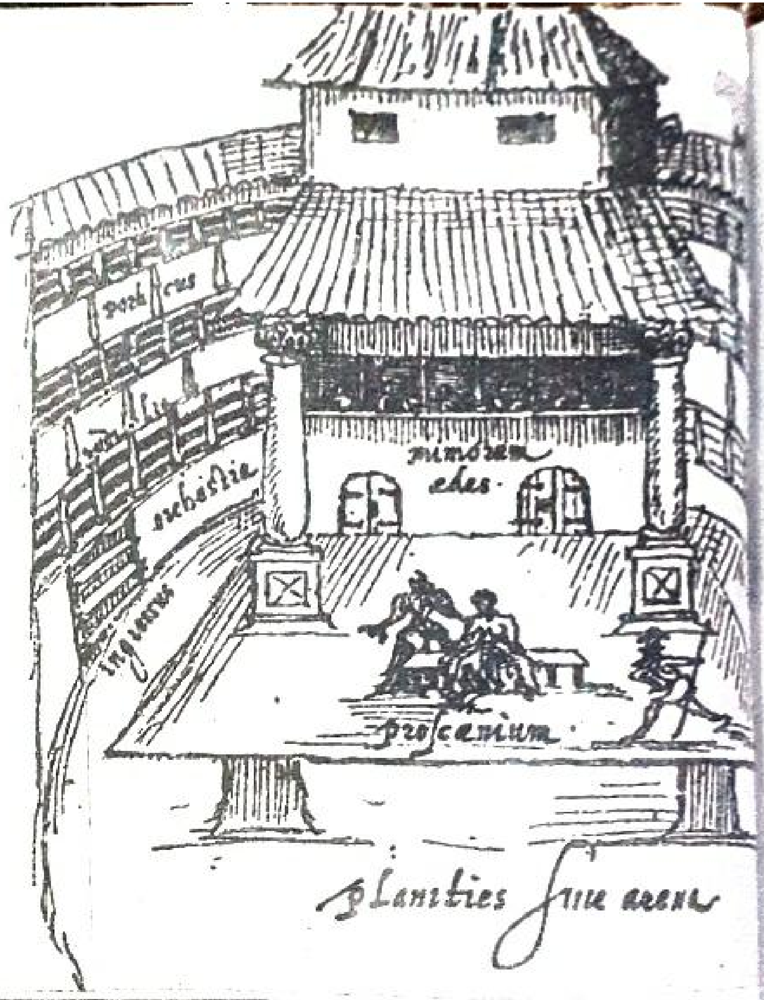


ريتشارد بيربيج الذي مثل ادوار
ابطال شكسبير، صورة ربما رسمها
لنفسه

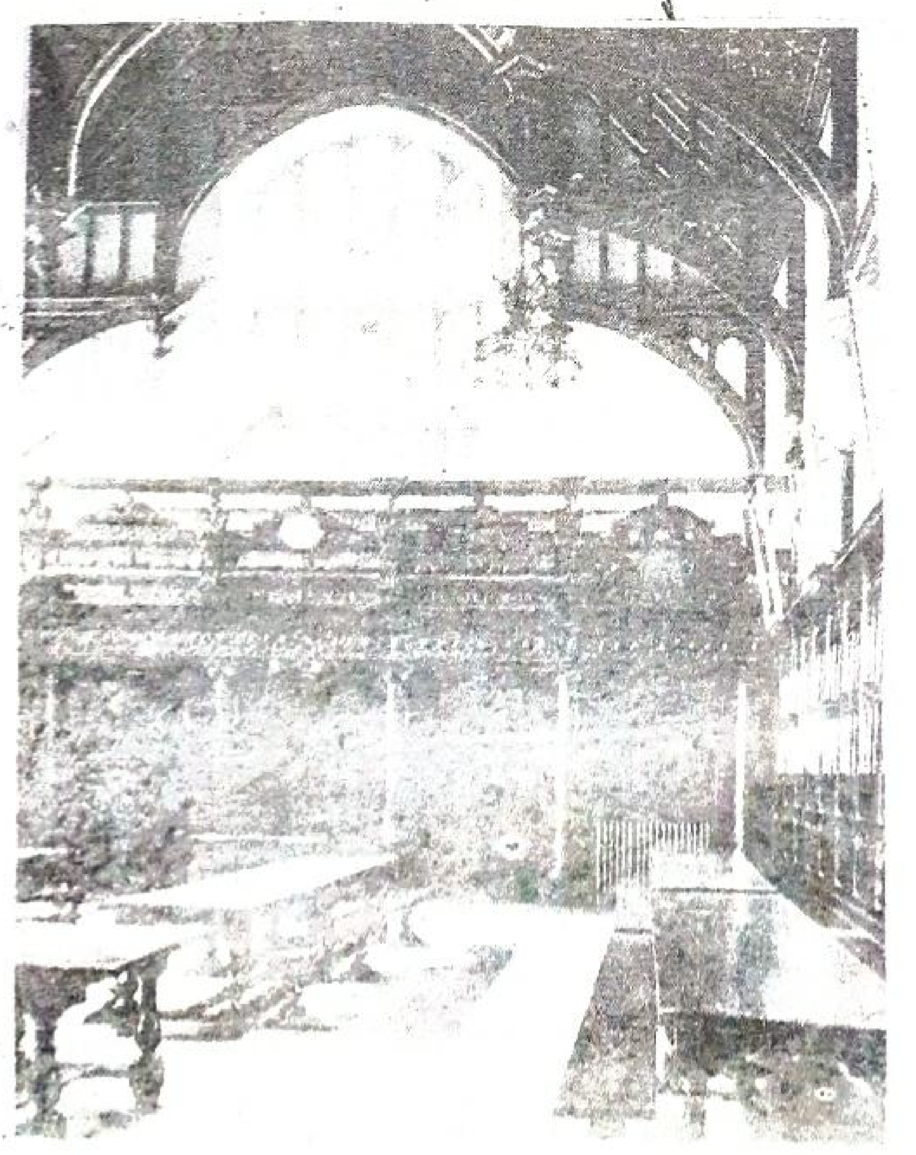


A page from *Sir Thomas More*, possibly in Shakespeare's handwriting

صفحة من (سير توماس مور) ربما هي بخط شكسبير



مسرح سوان الذي شيده فرانسز لانغلي
ومثل فيه شكسبير وفرقته في عامى
١٥٩٦ و١٥٩٧

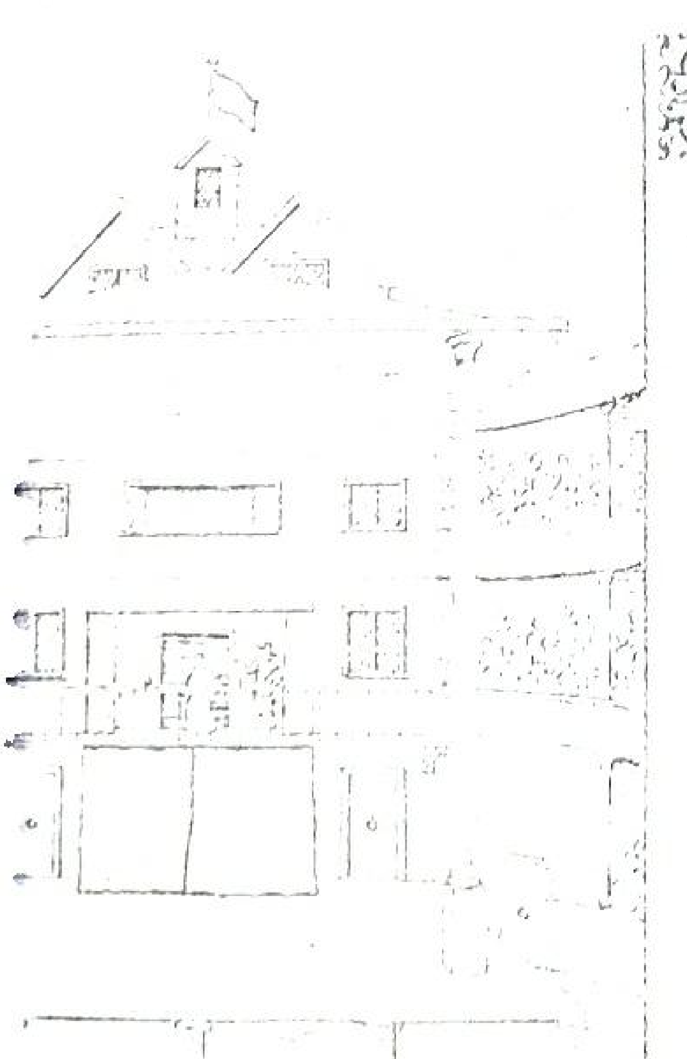


ـلة غري حيث عرضت مسرحية
ـخطاء) في كانون الاول ١٥٩٤

راعي شكسبير الجديد اللورد
تشمبرلن هنزدن الثاني



اعادة تصور خشبة مسرح (غلوب)



المسرحية الاولى التي نشرت وعليها اسم شكسبير

A

PLEASANT

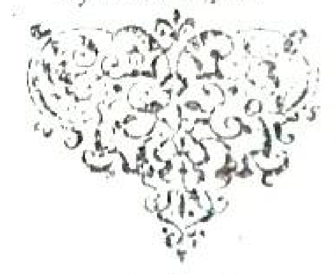
Conceited Comedie

CALLED,

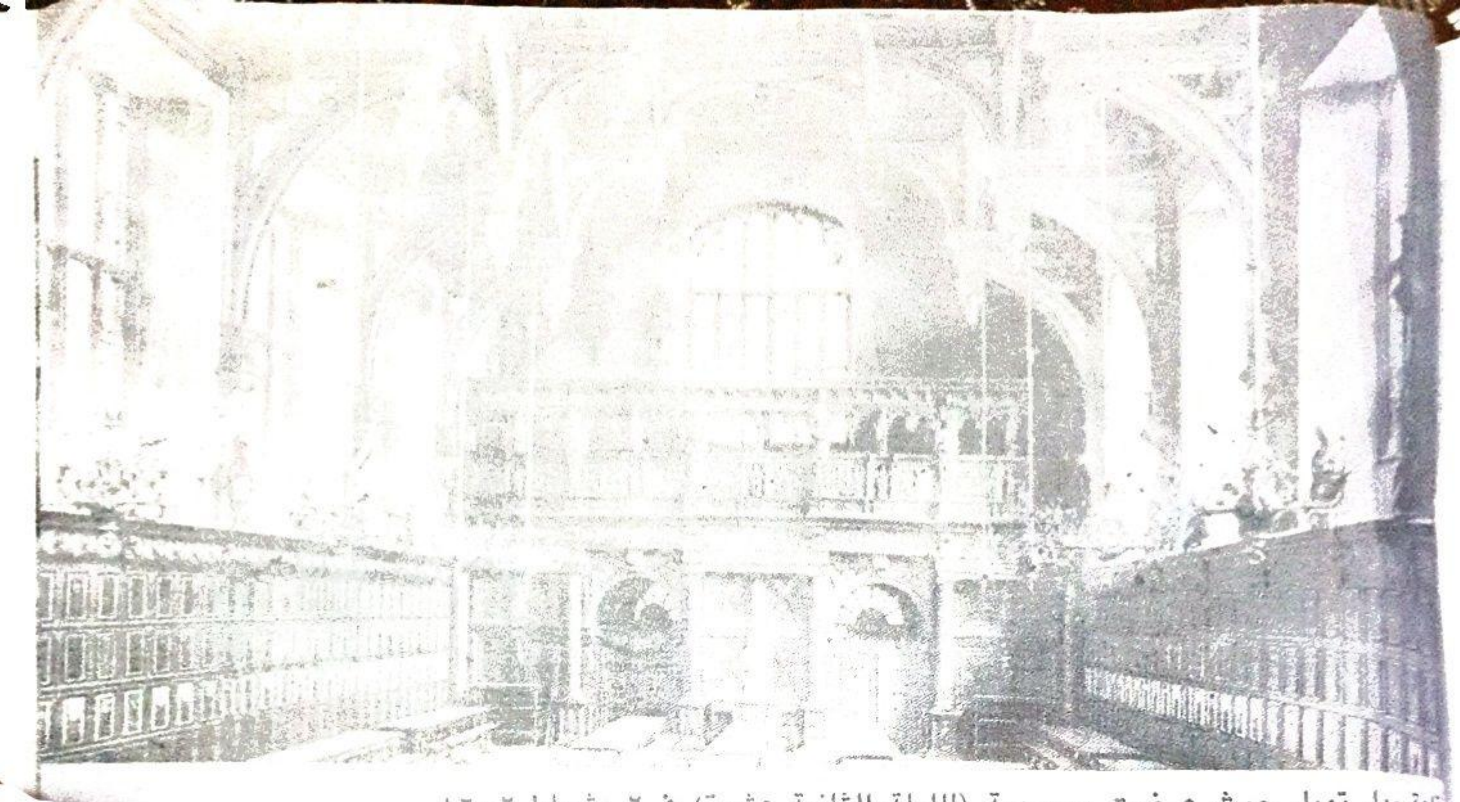
Loues labors lost.

As it vvas presented before her Highnes
this last Christmas.

Newly corrected and augmented
By W. Shakespere.



Imprinted at London by W.W.
for *Cutbert Burby.*
1598.



قاعة مدل تمبل حيث عرضت مسرحية (الليلة الثانية عشرة) في ٢ شباط ١٦٠٢

مؤتمر سومرست هاوس عام ١٦٠٤ حيث كان شكسبير يؤدي واجبه بوصفه احد رجال البلاط

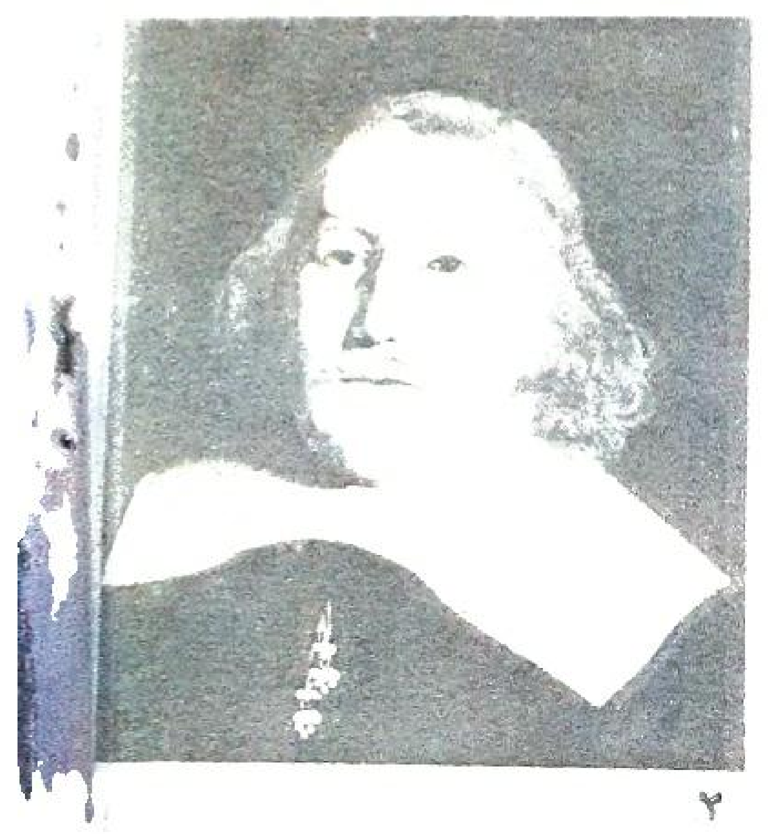


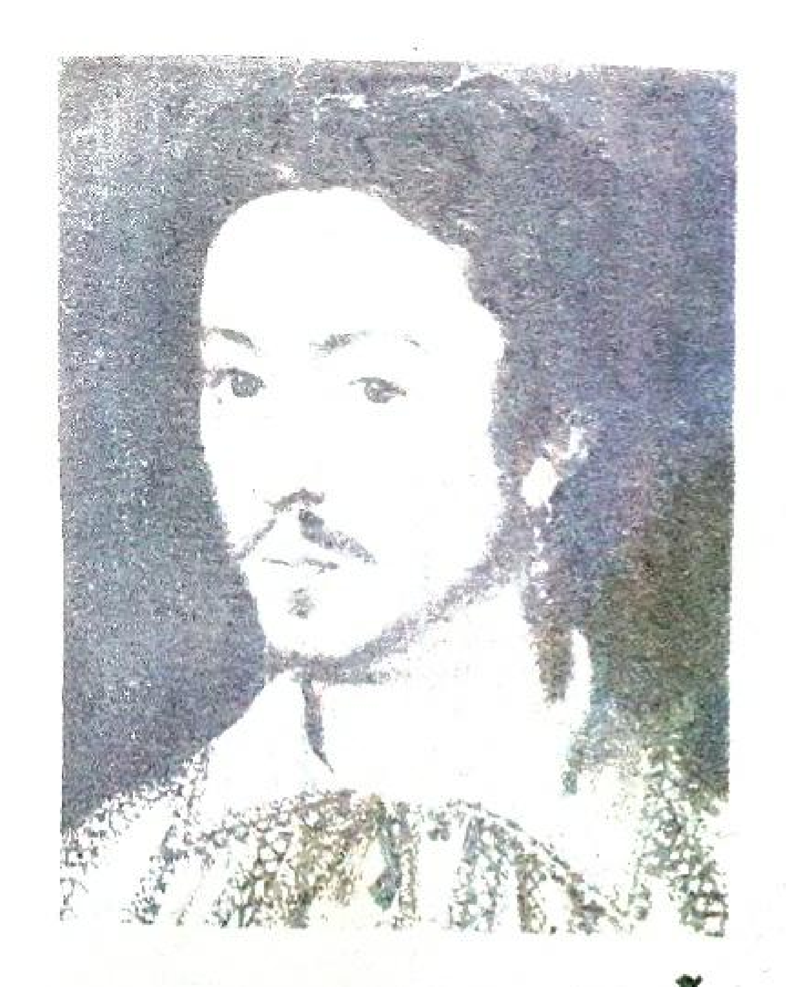
تصميم وضعه انيغو جونز لقناعية السواد

جون شكسبير التى حولت الى حانة

مسرح غلوب الثاني وبيرغاردن (يستعمل كلا الأسمين). ويحتمل ان مسرح بلاكغرايزر هو البناية العالية الى يمين الرأية


١


٢


٣

(١) جون لوين. الذي مثل دور فالستاف تلقى توجيهاته من السير شكسبير نفسه في دور هنري الثامن

(٢) وليم سلاي، احد اعضاء فرقة شكسبير الاصليين

(٣) ناثان فيلد، كاتب مسرحي وممثل حل محل شكسبير في فرقة الملك



نصب شكسبير المطل على قبره



يعرض هاليدي بتفاصيل مفعمة بالحيوية ما نعرفه عن حياة شكسبير بعد ثلاثة قرون من الاكتشاف ويسلط الضوء على قصة حياة هذا الكاتب المسرحي والشاعر البارز برسوم من الشخصيات الاليزابيثية، ويضمن كتابه صفحات من الطبعات القديمة لمؤلفات شكسبير وخرائط لمدينة ستراتفورد- ابون - ايفن، مسقط رأس شكسبير. ان الغموض يلف معظم حياة اعظم كاتب مسرحي انكليزي، بيد ان هاليدي (الخبير في ادب العصر الاليزابيثي - نسبة الى اليزابيث الاولى - والعصر الجيمزي - نسبة الى جيمز الاول - ولا سيما شكسبير اذ اصدر موسوعة متخصصة تضم كل ما يتعلق به) يقدم في ٥٦٦ صفحة الادلة على ان وليم شكسبير من مدينة ستراتفورد - ابون - ايفن كان حقاً مؤلف المسرحيات المنسوبة اليه.

ويقدم ايضاً عن طريق البحث الرصين والاستعمال الحصيف للوثائق والسجلات المعاصرة والاستنتاجات المستمدة من المسرحيات والقصائد سيرة حياة حافلة بالاثارة والحيوية.

دار المأمون للترجمة والنشر

تصميم الغلاف: نوار ضياء شكاره